النية الصالحة وأثرها في الدعوة إلى الله

د/ غازي بن غزاي بن عبدالعزيز العارضي المطيري

عضو هيئة التدريس قسم الدعوة– كلية الدعوة

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ملخص البحث

يُعنى هذا البحث بتفقر العلاقة المنهجية، بين النية الصالحة، وموضوعات الدعوة، وتحديدها، على نحو يكشف الآثار الجليلة المترتبة، على بناء تلك العلاقة وتقويتها، ويبرهن في ذات القوت، على سمو الدعوة الإسلامية، وبراءتها من كل قصد ضال، وهدف منحرف، ويزود الداعية المسلم، بنبراس التأثير المباشر، لاختراق كينونة نفسية المدعو، واهتم البحث بتفعيل أثر الأسلوب والوسيلة وترشيد مسارهما، بما يستنفد كامل طاقتهما في خدمة الدعوة وفق معطيات فقه النية الصالحة، ناهيك عن عنايته بتنقية الأجواء المتوترة بين الدعاة، التي مردها تقاطع المصالح، وتناقض الأهداف، وتضخيم الخلافات، فضلاً عن تعميق النظر البحثي في موارد النية الصالحة وارتباطها بمقاصد الشريعة الإسلامية، لانتزاع الأدلة وتجلية البراهين الساطعة، على سماحة الشريعة وإبراز محاسنها، للرد على أعداء الدعوة الذين ما زالوا يتوسلوا بالطعن، ويصاولوا بالغمز في عدالة الشريعة الإسلامية وتهوين شأنها.

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وبعد ...

فطالما تأملت أحوال المسلمين وما حل بهم من نكبات، وما أحاطت بهم مـــن مدلهمات، فتساءلت عن أسبابها، ونقبَّت عن خفاياها، فرأيت أن على كل من انتسب إلى العلم والدعوة والفكر، واجباً في إبراز تلك الأسباب والخفايا، ومعالجتها من خلال تخصصه، وواقع عمله، ليضع كل مؤهل لبنة قوية في مشروع علمي، وبرنامج عملي، يتعاور بناءه المتخصصون الأكفاء، على نمط من الدقة والفاعلية، بغية الوصول إلى أنجح الحلول القابلة للتنفيذ، تُقدم في قالب منضبط، لإصلاح ما فسد، ورتق مـــا انفتـــق، وشعب ما انصدع، وانطلاقاً من هذه الغاية السامية، فقد عـــنَّ في الـــضمير، وعلـــق بالذهن مالا أستطيع دفعه، مما أصاب حبة القلب بشغفه، ولصق بسويدائه، من إلحاح متوارد، ورغبة صادقة، في الكتابة حول إصلاح النيات، حتى رأيتني تركـــت ســـائر الصوارف جانباً، وأقبلت على الكتابة في هذا الموضوع.

أهمية الموضـــوع:

يكتسب موضوع إصلاح النية أهمية كبيرة، وأحسب أن إهماله وعدم العناية به، وراء كثير من المتاعب التي ألّمت ببعض المسلمين، وذلك لما يكتنف إصلاح النية مـــن مجاهدات، ويحفها من صعوبات، وما يترتب على إهمالها من مصائب وأزمات، لا سيما على مسيرة الدعاة والمصلحين، في وقت دارت فيه رحى الصراع اللاحب، بين جنود الحق والباطل، وكل له من دلائه نصيب، ومن موارد جهده الطارف والتليد، ولا تزال الأحداث والظروف، تدفع من بين يديها ومن خلفها، بالمثلات، وتكشف عن ســـاق العظة والعبرة ما يُسيل العبرات، ويوقظ سُبات الغافلين، ويُـــشعل فتيـــل النهـــضة في

الخاملين، حتى إذا حصحص الحق لذي عينين، وأسفر فجر الحقيقة للناهين، أدركنا العثرات، وأبصرنا بعين الندم الهنات، والتي من أبرزها: أزمة حقيقية في خلجات الجوانح وكوامن الأفئدة، اتصل شؤمها القبيح ووجهها الكريه، إلى الأعمال فنزعت بركتها، وإلى الوحدة ففرقت جمعها، وأقامت سوقاً نافقة للرياء والتصنع، ومرتعاً خصباً للنفاق والتملق، وفساداً عريضاً في عالمنا المعاصر – إلا من رحم الله – حيث أصبحت المادة غاية وهدفاً، وحب الجاه والعلو قبلة ومقصداً، والمبادئ والقيم حرفة وشكلاً، حتى وظفت الدعوة الإسلامية –لدى البعض– وسيلة لتضخيم الخلافات، وشركاً مسموماً لحبك المؤامرات، وميداناً لهتك الحرمات، ويقع السذج والبسطاء في سبيل ذلك، فريسة سهلة، لأداء مهمات قذرة، لا ترعى حرمة، ولا تحفظ حقاً، ولا تصون واجباً، تؤججها الطائفية، وتشد من أزرها العنصرية والعصبية، في قائمة طويلة من المخالفات، وصنوف متعددة من الكبائر والموبقات، وهل يُرجى لمن هذا صنيعه، أن ينصر حقاً، أو يخذل باطلاً؟! وهو يحمل بين جنباته علة هلاكه، وسر فشله، وأسباب هزيمته!! من أجل ذلك حداني داعي النصح ومنادي الإيمان، للبحث في آثار النية الصالحة في مجال الدعوة، رغم البضاعة المزجاة، والجهد الكليل، لأن المسلم مأمور بالبذل والعطاء، وإن ضعفت حيلته وقل عطاؤه، مستمداً من العزيز الحكيم، العون والتوفيق كي أفرغ ما في حشاشتي من رأي، وأقضي مافي لبانتي من جهد، نهوضاً بواجب النصيحة، واضطلاعاً بذمام الأمانة، حيث إن الداء المخامر، والفتنة المستنبطة، تتمثل في آفات النية وخوارمها، ولا يعني وصف الدواء، البراءة من الداء، ولا امتطاء العصمة، والتدثر بمسوح الصفاء، وإنما هو جهد المقل، وبذل الناصح غير المدل، الذي آلمه، وقضّ مضجعه ما يشاهد من تمرد وانحراف، علته فساد النية، وخبث الطوية، أدى إلى تكريس الخلاف، وانتزاع التأثير والبركة من الأقوال والأعمال، وشيوع الروح العدوانية، وقسوة القلوب، وانحسار مد الهداية، رغم جلبة ضوضاء المحاضرات، وشدة صريخ الأقلام، وسيلانها في المؤلفات، وانعقاد العديد الكثير من المؤتمرات والندوات، ثم

لا تعدوا أن تكون توصيات منمقة بأجمل عبارة، وألمع بيان بحيث لا تنكأ عدواً، ولا ترد مغصوباً، ولا تنصر مظلوماً، إن ثمة أزمة حقيقية في البواطن، لا مفر من الاعتراف بها، ولا ينبغي غض الطرف عنها، أو التقليل من شأنها، وآية ذلك أن كثيراً من خلافات المسلمين، لا يُراد لها الحل، ليس من أجل غموضها، أو التباس فهمها، وإنما سببها افتقاد الإرادة الصادقة لإزالتها، وإن وجدت المرجعية الضامنة لحلها كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1]. لا بل إن القضايا المصيرية الكبرى، والتي لاتخفى مصالحها، ولايلتبس على أحد أهميتها، نرى بعض سراة المسلمين، يختلفون حولها، والعالم ينظر قارعاً سن شامت، أو مظهراً لغة ساخر.

تساؤلات البحث:

يطارد البحاث باستقراء واحفاء الجواب على سؤالين هامين:

الأول: ما هي علاقة النية الصالحة بموضوعات الدعوة وأركانها ومفرداتها.

ثانياً: كيفية توظيف الداعية تلك المعرفة في خدمة الدعوة.

الدراسات السابقة:

لم يطلع الباحث حسب علمه القاصر على بحث مستقل في هذا الموضوع، وأما ما كتب حول النية، فقد ذكر ذلك من التمهيد.

منهجي في البحث:

ونظراً لكون هذا الموضوع كثير التشعب، متعدد المسارب، واسع العطن إذ يرتبط بالأعمال والإرادات، ومن العسير والحالة هذه، استيعاب أفراده، والإلمام بمظانه وموضوعاته، فكان من الأجدر الاقتصار على جانب واحد، ليكون أقرب للإتقان وأوفر للجهد، فوقع اختياري على محاور كمال النية وصلاحها في الدعوة إلى الله، التي

ترتبط بعدة وظائف حساسة ومهام مصيرية إذا وصل إليها التفريط، فإن سواها أشـــد ضياعاً وأعظم فساداً فاخترت بحثاً بعنوان (النية الصالحة وأثرها في الدعوة إلى الله).

خطة البحث:

واشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وتفصيلها كالتالي:

المقدمة: وفيها بيان الخطة وسبب الاختيار.

التمهيد: وفيه التعريف بالنية وبيان أهميتها.

الفصل الأول: (النية الصالحة وأثرها في موضوعات الدعوة) واشتمل على أربعة مباحث وهي:

المبحث الأول: العقيدة.

المبحث الثاني: العبادة.

المبحث الثالث: المعاملات.

المبحث الرابع: الأخلاق.

الفصل الثاني: أثر النية الصالحة في نجاح الداعية وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تأهيل الداعية.

المبحث الثاني: تأثيره.

المبحث الثالث: الإصلاح بين الدعاة.

الفصل الثالث: أثر النية الصالحة في أركان الدعوة الأخرى وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: وسائل الدعوة.

المبحث الثاني: أساليب الدعوة.

المبحث الثالث: استمالة المدعو.

المبحث الرابع: الرد على أعداء الدعوة.

الخاتمة: **وفيها نتائج البحث**.

هذا وقد اعتمدت في كتابة البحث على المنهج الوصفي التحليلي مركزاً على المصادر الشرعية، ومحاولاً – قدر المستطاع- الجمع بين الأصالة والمعاصرة، ومؤثراً مسلك الاختصار غير المخل –بإذن الله- ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، مع التركيز على الجوانب التربوية ذات الجوانب العقدية المتصلة بالدعوة، غير خائض في المباحث الفقهية إلا عند اقتضاء الحاجة إلى ذلك، والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا البحث، ويصيره من لدنه قربة وزلفى متقبلة إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمداً وآله وصحبه.

* * * * *

التمهيد (التعريف بالنية وبيان أهميتها)

من بدهيات البحث العلمي، أن استكشاف الماهية سبيل قوي، لانفراج طوارق التأصيل العلمي، والتغلغل في مسارب البحث الدقيق، للوصول إلى الحقائق الموضوعية وللوقوف على أهمية النية ابتداء، يلزم التعريف بها أولاً، على نحو يكشف حقيقتها، حيث إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

والنية: (مصدر (نوى) وعند التأمل في حروف الكلمة، ندرك أن النون والواو والحرف المعتل أصل يدل على معنيين أحدهما: مقصد الشيء، والآخر: عجم الشيء.

والنوى: التحول من دار إلى دار، هذا هو الأصل ثم حُمل عليه الباب كله، والنية: مؤنث النوى، والنية والنوى معنى واحداً، يقال نوى الشيء، ينويه نواة، ونيه نية: قصد وعزم عليه، ونوى القوم كذا مترلاً: قصدوه، يقال للمسافر نـواك الله: أي

صحبك في سفرك وحفظك، ونواك الله بالخير أي أوصله إليك) [٢] فتلخص لنا مما تقدم عدة معان منها: الصحبة، والتحول، والقصد، والعزم، والذي يهمنا من ذلك أن نتوسل بالمعنى اللغوي للنية إلى معرفة المعنى الاصطلاحي، وأقرب التعريفات في نظر الباحث ماذكره الإمام الخطابي[٣] بقوله: (النية: قصدك الشيء بقلبك وتحري الطلب منك له) [٤] فهذا التعريف جمع معان النية، وأصاب بدقة مساقها، وأحاط بكنهها، وألمَّ بمفاهيمها المتعلقة بأفعال القلوب ولوازمها القولية والعملية. وبمزيد بيان لعلاقة النية بالقصد فقد توسّع الإمام ابن القيم[٥] في المراد بالقصد الوارد في تعريف النية بقوله: (إن النية هي القصد بعينه، إلا أن بينها وبين القصد فرقين:

أحدهما: أن القصد معلق بفعل نفسه، فلا يتصور أن ينوي الرجل فعل غيره، ويتصوره، بل أن يقصده ويريده، ومن هذه الزواية يكون القصد أعم من النية.

الثاني: أن القصد لا يكون إلا بفعل مقدور يقصده الفاعل، وأما النية، فينوي الإنسان مايقدر عليه ومايعجز عنه، والنية تتعلق بالمقدور عليه، والمعجوز عنه، بخلاف القصد والإرادة، فإنهما لايتعلقان بالمعجوز عنه لا من فعله، ولا من فعل غيره) [٦] وأياً كان التوجيه والتخريج الاصطلاحي للمعاني اللغوية لتحديد معنى النية والفروق الواردة بينها، فلا خلاف بأن النية من أعمال القلوب المحضة، والتي تتوارد عليها كثير من أعمالها، وترتبط بها سواء، كان عزماً، أو إرادة، أو سواه كما قال الإمام المحاسبي[٧] (النية إرادة العبد أن يعمل بعمل من المعاني، إذا أراد أن يعمل ذلك العمل لذلك المعنى، فتلك الإرادة نية إما لله ﷻ، وإما لغيره لقوله ﷺ: "وإنما لكل إمريء مانوى"[٨] واستناداً إلى التعريف اللغوي والاصطلاحي والمناقشات الدائرة بينهما فإن الباحث يخلص إلى المعنى الاصطلاحي المتصل بموضوع البحث، ليكون نقطة الارتكاز لمفرداته ومرجعية علمية لمضمونه، تسمح باستحضار مفهومه بين دفتي البحث، ليأخذ بعضه

بحجز بعض على نحو منطقي مقبول، مفاده مايلي: (قصد شرعي مبرء من النـــواقض الصارفة والموانع الصادة، يراد منه خلوص إرادة الداعية ونشاطه من كل شيء ســـوى الله، حال الشروع في الدعوة ومن قبل، ومن بعد، ومابين ذلك)[٩] وهذا التعريـــف يستغرق جميع نشاط الداعية، ويتصل بواثق العُرى إلى الأسس والأساليب والوســـائل، ولايخرج عن نطاقه شيء من مفردات الدعوة.

من الضرورة أن لا يذهل الباحث عن عقد علاقة بين الحقيقة ومستلزماتها، بغية تسجيل كشف علمي، يميط اللثام عن الزوايا المجهولة والنواحي المغلقة، بيد أن النيـــة وإجلاء أهميتها أعظم من أن يترل بها منازل الشك، أو تكلـــف البحـــث في مظـــان المجهول، توسلاً إلى إخراجها من قمقم اللبس والغموض، ولئن كان إيمان الباحث بهذه الحقيقة راسخاً، فإن هذا لايعفيه من طرق غير المحال، لتأصيل الحال، وتوكيد المقـــال، فإن تكرار الحقائق مدعاة لرسوخها وشحذ النفوس على الازدياد من فهمها، والترقي إلى مقاماتها السامقة، ومنازلها العالية، والحديث في هذا المجال يتركز على مايلي:

١- يمثل الكتاب والسنة مصدر التشريع في الإسلام، ولهما مـــن الخـــصائص مالايشاركهما مصدر آخر، حيث نزلا بأمر الله ﷻ وبعلمه، واحتويا المنهج المعصوم، بما لايشوبه خلل ولايكدره زلل، وتلك خاصية زادها كلام البارئ أعظم المناقب سمواً وأرفعها كمالاً، لايدانيها، أويقارب عظمتها جهد بشري يُذكر، مهما كانت خصوبة خياله، أو عذوبة مقاله، والحق أن القرآن الكريم أعطى النية تلك المنحى النفسي المتصل بنياط القلوب وعلقها أعظم اهتمام، وأسمى مقام، حيث ربطها بجذر العقيدة، ومنبـــع الإيمان، وعَرصَة العبودية، وتلك إحدى المقاصد الكبرى التي يدور عليها فلك الإسلام كما في قوله تعـــالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[١٠] فالله ﷻ لما حدد المراد، وعـــرّف بالتوحيـــد،

حصر القصد في الصمدية ونفى ماسوى الله استحقاقاً لها، لانتقاء التكافئ وانعدام الأهلية لغير الله، كما أرشد بلفظ الإخلاص إلى لب العقيدة وصميمها المتجسد في سلامة النية، وخلوصها من الآفات والقوادح كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾(١١) ودأب الخطاب القرآني الرباني على التعريف بالذات الآلهية، مقروناً، بتوجيه النية نحو مسارها المحدد، ومقصدها المسدد كما في قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾(١٢). وينوه القرآن الكريم بسمو النية الصالحة، ويقرنها بالمعاني الشاخصة والمثل المحسوسة، إمعاناً في ترسيخ التوحيد كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ۝٢٩ ﴾(١٣).

ويخاطب الحق سبحانه رسوله الكريم بأمره أن يعلن عبوديته، وحقيقة دعوته القائمة على فلك الإخلاص كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴾(١٤). فإصلاح النية تكليف ملزم، وقضاء محكم لا يخرج من واجبه، ولا يتحلل من تبعته ملك مقرب ولا نبي مرسل، ويتنوع أسلوب الخطاب القرآني في إبراز أهمية النية ومكانتها بدلالات مفعمة بمعاني الإخلاص، وتجريد النية، وتهذيبها يقول سبحانه: ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ۝١٩ ﴾(١٥). ووصف النية بالإرادة، ظاهر من سياق الآيات، ودليل على أثرها في اكتساب الثواب في الآخرة نظير صدقها، وإخلاصها، واستحقاق العذاب جزاء تددسيسها بخوارمها، وقوادحها كما في قوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ۝١٨ ﴾(١٦).

وبهذا تحدد النية وجهة الطريق ومساره، وتشي إلى فيصل المشاعر، من خلال سيطرتها على الإرادات، ويمضي السياق القرآني إلى الارتقاء بالنية إلى الامتزاج بالعقيدة كما يقول سبحانه: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ

ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[١٧]، ونلمح بوضوح في الآية الكريمة مسؤولية النية في اعتناق الملل المردية، والعقائد الزائغة، حيث إن لفظ (يبتغ) يفيد معنى الإرادة والقصد، وعلى هذا السنن المتعاضد، يتبدى لنا باب واسع في القرآن الكريم يأخذ مداه في نعوت وصفات وألقاب النية، وبيان أبعادها، ومظاهرها، بما لا يمكن حصرها في هذا المقام، أما السنة فقد أخذت بغرز القرآن الكريم، فأتت على معاني النية بشمولية، استوعب مقاصد القرآن الكريم بتفسير متقن وتخصيص مفيد، وتقييد بليغ، يوقف المكلف على مراد الله سبحانه في إصلاح المقاصد، وتعزيز أسباب الهداية، إما بلفظ النية صراحة، أو بمعناها، تُكوِّن في مجموعها منهجاً متكاملاً مع القرآن الكريم، يُسفر عن معرفة هذه الحقيقة من الدين بالضرورة، والعمدة في ذلك في قوله عليه الصلاة والسلام "**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه**"[١٨]، وهو حديث جامع مانع تدور عليه رحى الإسلام، إذ الأعمال والأقوال والأحوال تفتقر في صحتها وكمالها إلى النية الصالحة، ومن أجل ذلك وردت بصيغة الحصر (إنما الأعمال بالنيات) وإذا ثبت أنها للحصر، فتارة تقتضي الحصر المطلق، وتارة تقتضي حصراً مخصوصاً، ويفهم ذلك بالقرآن، والسياق كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ﴾[١٩]. وظاهر ذلك الحصر للرسول ﷺ في النذارة، والرسول لا ينحصر في النذارة لمن لم يؤمن ونفي كونه قادراً على إنزال ماشاء من الآيات، وكذلك قوله ﷺ (**إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون لديّ**)[٢٠]. معناه: حصر في البشرية بالنسبة إلى الاطلاع على بواطن الخصوم، لا بالنسبة إلى كل شيء، فإن للرسول ﷺ أوصافاً أخر كثيرة، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ﴾[٢١]. يقتضي والله أعلم –الحصر– باعتبار من أثرها، وأما بالنسبة إلى ما هو في نفس الأمر، فقد تكون سبيلاً إلى الخيرات، أو يكون ذلك من باب التغليب للأكثر في الحكم على

الأقل، فإذا وردت لفظة (إنما) فاعتبرها، فإن دل السياق، والمقصود على الحصر في مخصوص: فقل به، وإن لم يكن في شيء مخصوص، فاحمل الحصر على الإطلاق، ومن هذا: قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنيات)[٢٢] ولا يمكن دفع هذا المنحى العلمي بغير هذين التقديرين، الذي تفتقر إليهما الأعمال صحة وكمالاً (والمعنى الذي عليه الحديث أصل عظيم من أصول الدين بل هو أصل كل عمل)[٢٣] يراد له القبول ويؤمل من ورائه التأثير، فالنية في منظور السنة تعتبر (سر العبودية وروحها، ومحلها من العمل محل الروح من الجسد، ومحال أن يعتبر في العبودية عمل لا روح له معه، بل هو بمنزلة الجسد الخراب)[٢٤] ولا يستغلق فهم علة ذلك لأن (النية روح العمل ولبه وقوامه، وهو تابع لها، يصح بصحتها، ويفسد بفسادها، والنبي ﷺ قد قال كلمتين كفتا، وشفتا، وتحتهما كنوز العلم وهما قوله (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى) فتبين في الجملة الأولى أن العامل ليس من عمله إلا ما نواه، وهذا يعم العبادات، والمعاملات، والأيمان، والنذور، وسائر العقود، والأفعال)[٢٥] فاحتفاء السنة بالنية أمر مقرر شرعاً، باعتبار أنها محط نظر الرب جل في علاه، وكونها فرقان القبول والتأثير بين ممن سلمت طويته، وخبثت دخيلته ودغلت إرادته، وفي الحديث (**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**)[٢٦]. فعلى قدر ما في قلب العبد من إخلاص، وما يجوس في جوانحه من إنابة، وما يمازج خلجات فؤاده من صدق، ينال قربه من الله واكتساب رضاه، وبصريح العبارة وواضح الإشارة، تُعلّق السنة قبول العمل ورفعه ورد العمل ورفضه على ميزان النية، فلا عبرة بالظاهر، وإن بدا عظيماً، وفي أعين الناس مهيباً، ما لم يكن خالصاً لله، مبرئاً من المقاصد الهابطة والأهداف المفسدة، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ[٢٧] قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، ويقاتل رياءً أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**)[٢٨]. فمهما كانت

التضحيات المقرونة بالأعمال الخارقة والإنجازات الهائلة، فلا تعدو شيئاً مذكوراً، ما لم تنزع إلى نية صالحة تحميها من المكدرات، وتصونها من الشوائب، والمنغصات (لأن النية استبصار للعمل، وتحديد للهدف، واختيار للوسيلة، وعزيمة للقلب، وإدراك للمسئولية عن الفعل)[٢٩] وهذا أمر معلوم من استقراء الشريعة السمحة، بأنه لابد (لكل عمل من نية، وكل شيء ينصرف فيه المرء فلا يخلو من أحد الوجهين: إما حركة، وإما إمساك عن حركة، وإنما يفرق بين الطاعة من هذين الوجهين وبين المعصية منهما ومن اللغو بالنيات فقط، ولا فرق بين الطاعة والمعصية واللغو في الحركات والإمساك عن الحركات، فوجب بالضرورة أن لا يتم عمل، ولا يصح أن يكون حركة أو إمساك متوجهين إلى الطاعة المأمور بها خارجين عن المعصية وعن اللغو إلا بنية، هذا أمر لا محيد عنه أصلاً إلا لجاهل لا معرفة له بحقائق الأمور، فمن صلى بنية الرياء، ففاسق عاص، ومن توضأ بنية الطاعة التي أمر بها فمطيع فاضل، ومن ركع وسجد وقام وقعد لا بنية رياء، فليس مطيعاً، ولا عاصياً، وإذا لم يكن مطيعاً فلم يتوضأ الوضوء، الذي هو طاعة الله ﷻ مأمور به، وكذلك الصوم والحج والجهاد والزكاة، لأن الصوم إنما هو إمساك عن الأكل والشرب والوطء والقيء والكذب والغيبة، ومباشرة مالا يحل مباشرته، فإن أمسك عن كل ذلك لا بنية الريا ولا بنية الطاعة كما أمر فليس مطيعاً ولا عاصياً، وإذا لم يكن كذلك فليس صائماً، وإذا لم يمسك بنية الطاعة عن ذلك في صوم الفرض في الوقت الذي أمر فيه بالإمساك عن كل ما ذكرنا فهو عاص، لأنه خالف ما أمر به وهكذا القول في رمي الجمار، والوقوف بعرفة، والمزدلفة، والطواف، والسعي، وكذلك سائر الأشياء، فمن أكل الشعير مؤثراً بالبر للمساكين، ناوياً للبر في ذلك، ففاضل محمود، ومن أكله لؤماً وبخلاً وخَزَنَ البُر مستكثراً للمال فمذموم آثم، ومن مشى راجلاً وتحمَّل متاعه بيده تواضعاً لله – لا بخلاً ولا دناءة وتصاون عن الخسائس مع ذلك وتصدق ناوياً بكل ذلك ما ذكرنا فهو

فاضل محمود- ومن فعل ذلك بخلاً ودناءة فمذموم، وإن فعل ذلك بنية رياء ففاسق ومن أنكح ابنته عبده أو علجاً كما فعل ضرار بن عمرو[٣٠] تواضعاً ونيته التسوية بين المسلمين وهو مع ذلك عزيز النفس غير طمع ولا جشع، ففاضل محمود عند أهل العقول، رائض لنفسه الغضبية، ومن فعل طمعاً، أو مهانة نفس فمذموم ساقط، ومن لبس الوشي المرتفع ليس حريراً بنية الاقتداء بالنبي ﷺ فمأجور فاضل، ومن لبس بنية التخنث والأشر، والإعجاب ففاسق مذموم، وهكذا جميع الأعمال، أولها عن آخرها، فصح أن لا عمل أصلاً إلا بنية كما ذكرنا)[٣١]، فهذه أمثلة ونماذج آثرت الاستطراد في ذكرها تشير إلى أثر النية في توجيه الأعمال، وامتلاك ناصيتها، وتؤكد السنة أن إضمار النية الصالحة وتبييتها والعزم عليها، تكتب عملاً صالحاً ولو تعذر أداؤه فإن الأجر حاصل لا محالة، وفي الحديث (**إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض**)[٣٢]. وفي رواية (حبسهم العذر)[٣٣]، فإدراك الأجر بمجرد النية الصالحة مستفيض ذكره في السنة، بيد أن العمل وحده لا يتم الوفاء بشرط صحته، وكماله إلا بالنية، وربما انقطع المرء قبل إتمامه فقد يصاب بالإحباط والحسرة، فتتدخل النية الصالحة، فتبث في روعه الأمل، وتسمو به إلى المراتب العالية، والمنازل المنيفة متخطية في الوقت نفسه عسر المهمة وكلفة المشقة وفي الأثر: (نية المرء خير من عمله)[٣٤]، وبهذا تبرهن السنة على يسر الشريعة، ورحمتها، من خلال الركون إلى مفاهيم النية الصالحة، التي تصلح موضعاً للمناظرة على يسر الإسلام، وموطناً للمفاخرة على سائر الأديان، وفي الحديث القدسي قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال (**إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيَّن ذلك فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها فعملها كتبها الله عشر درجات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة**

واحدة)[٣٥]. فهذا الحديث الشريف صالح ليكون وسيلة لعرض محاسن الإسلام، وسبباً في تسكين النفوس القلقة، وترويض العقول الجامحة، اتكاءً على هذا الحديث المنيف، الذي يأخذ بأزمة المشاعر، وتلابيب الوجدان، بين يدي محكمة النية الصالحة وقضائها المبرم بالحكمة، وحكمها الملزم بالبر، والرحمة، والحق أن مباحث النية الصالحة وفقهها في الكتاب والسنة، أبعد غوراً، وأوسع مجالاً من أن تُستقصى في بحث كهذا، فكان الاكتفاء بالنموذج والمثل قانعاً من الاسترسال في نظر الباحث، لا سيما أن البحث سيطرق جوانب مختلفة، وزوايا متنوعة، تكشف أهمية النية الصالحة في ضوء الكتاب والسنة.

٢- تنال الظاهرة العلمية حظها من الاحتفاء، ونصيبها من الاهتمام، بقدر وزنها ومكانتها، ويتحدد رأي العلماء أولاً، في تقويم الحقائق العلمية نظراً لرسوخ بصيرتهم وعمق تجربتهم، وسعة اطلاعهم، وقوة عارضتهم إذ لهم من القدرة الفائقة على التمييز والاستنباط، مايحيلهم مراجع موثوقة، ومصادر مأمونة، تغرف من ناموس الشرع المعصوم، وبرهان العقل المستنير، والذي لا يزيده الاعتمال الفكري إلا نمواً، خاصة إذا تعاضدت الأدلة، وترادفت البراهين، وانكشفت، العلل واستبانت الحِكَم، فلم يعد بعد ذلك للعقل أن يهيم في دياجير الحيرة، أو يتخبط وسط طوفان الشك، ويتبدى لنا مثالاً على ذلك، إطباق العلماء، وإجماع كلمتهم على أهمية النية، حيث عبروا بصور شتى وعبارات منتقاة، بطريقة علمية مؤصلة، فقد أشادوا بحديث (إنما الأعمال بالنيات) واحتفوا به، وأظهروا عناية به، وتركيزاً فائقاً يفوق ما سواه، مدعماً بالشرح، والبيان، والتعليل، ومن نماذج ذلك ماذكره الإمام عبدالرحمن بن مهدي[٣٦] بقوله (لو صنفت كتاباً بدأت في أول باب منه بحديث "إنما الأعمال بالنيات)[٣٧] وقال الإمام الشافعي[٣٨]: (إن هذا الحديث يدخل في سبعين باباً)[٣٩] واعتبره -نصف العلم-

وفسّره بقوله (إن للدين ظاهراً، وباطناً، والنية متعلقة بالباطن، والعمل هـو الظـاهر، والنية عبودية القلب، والعمل عبودية الجوارح)[٤٠] وقال الإمام أبو داود السجـستاني صاحب السنن[٤١] (كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، انتخبت منـها ماتضمنه هذا الكتاب، جمعت من أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث، أحدها قوله ﷺ : (نما الأعمال بالنيات)[٤٢] وقال القاضـي عياض[٤٣]: (ذكر الأئمة أن حديث (إنما الأعمال بالنيات) ثلث الإسلام، ووجهـه أن حديث (إنما الأعمال بالنيات) ثلث الإسلام، لأن الإسلام قول، وفعل ونية، والنية لابد أن تقارن القول والفعل سواء كان الفعل إيجاداً، أو كفاً وسواء كان القول أمـراً، أو نهياً، ولابد من كل هذه الأمور من النية في الجملة)[٤٤] وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام[٤٥] : (ليس في الأحاديث أجمع ولا أغنى ولا أنفع ولا أكثـر فائـدة منـه)[٤٦] واعتبره الإمام النووي[٤٧] أعظم الأحاديث وقال في ابتداء كتابه المجموع: (وإنما بدأت به تأسياً بأئمتنا، ومتقدمي أسلافنا)[٤٨] إن هذا الاهتمام إنما هو صدى لوقع حـديث النية في أذهان العلماء باعتباره، أحد الأحاديث التي تتصل بمصير عمل الإنسان، وصلته بالله تعالى حملت الإمام عبدالله بن أبي جمرة[٤٩] إلى حض العلماء للجلوس لتعليم النية بقوله: (وودت أنه لو كان من الفقهاء، من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم، ويقعد إلى التدريس في أعمال النيات ليس إلا، فإنه ما أتي على كثير مـن الناس إلا من تضييع ذلك)[٥٠] ومن تضاعيف قوله إشارة إلى أن وقوع كثير من الناس في المخالفات، وتورطهم في الانحرافات يعود لعدم عنايتهم بهذا الأصل، بخلاف الرعيل الأول الذين أدركوا أهمية النية، وفقهها، فسعوا إلى فهمها، وتعلمها ابتداءً قبل مباشرة العمل كما قال الإمام سفيان الثوري[٥١] : (كانوا يتعلمون النيـة كمـا تتعلمـون العمل)[٥٢] وذلك لأنها تمثل الأساس والقاعدة لسائر الأقوال والأعمال، فبقدر قوتهـا

وصلابتها، يزدهر العمل، ويسمو، ويرفع مقبولاً، لاتزعزعه العواصف، ولا ينجعف بالمؤثرات كما قال بعض العلماء: (اطلب النية للعلم قبل العمل، ومادمت تنوي الخير فأنت بخير)[٥٣] وقال الإمام عبدالله بن المبارك[٥٤]: (رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية)[٥٥] وليس من شك أن هذه المقولة البليغة تنبع من فهم عميق لمقاصد الإسلام، وفقهه المبني على الجمع بين الكم والكيف، في ترابط منهجي يُرجّح فيه جانب الكيف أحياناً لقيد شرعي، أو أدب رباني، تنال النية حظها بالتأثير فيه بالقبول، أو الرد يقول الإمام أبو داود الطائي[٥٦]: (رأيت الخير إنما يجمعه حسن النية، وكفاك بها خيراً، وإن لم تنصب)[٥٧] ومن أجل ذلك فتح فقه النية في الإسلام آفاق البحث العلمي على مصراعيه، ودخل العلماء إلى ساحاته من أبوابه المتفرقة، واتجهت البحوث في هذا الصدد طرائق قدداً فمنها من اعتنى بشرح حديث النية مثل كتاب (الأمنية في إدراك النية) للإمام القرافي[٥٨]وكتاب (شرح حديث إنما الأعمال) للإمام ابن تيمية[٥٩] ، وكتاب (منتهى الأمال شرح حديث إنما الأعمال) للإمام السيوطي[٦٠] ، أما الكتابة في المقاصد الذي ترتبط بالنية، وتدور في فلكها، فقد أفردت بمؤلفات منها: (ومقاصد الشريعة الإسلامية) للشيخ ابن عاشور، (ومقاصد الشريعة عند ابن تيمية) للدكتور يوسف البدري، وكتاب (مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية) للدكتور محمد سعد اليوبي، (مقاصد الشريعة ومكارمها) للشيخ علال الفاسي (والمقاصد العامة للشريعة الإسلامية) للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، (ومقاصد المكلفين) للدكتور عمر الأشقر، (ونظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي) للدكتور أحمد الريسوني، واتجه بعض الباحثين في الدراسات الفقهية للكتابة في ذلك من أبرزها (النية وأثرها في الأحكام الشرعية) للدكتور صالح السدلان، فهذه المؤلفات تبرز اهتمام العلماء والباحثين بفقه النية وصدارتها في البحث والتحليل والاستنباط،

وعلى الدعاة أن يقابلوا ذلك بالمثل، لتكميل حلقة البحث العلمي، الذي تتسعه الدراسات الدعوية، لتبليغ منهجية الإسلام في الحياة، التي تعد المنقذ الحقيقي من تيه النظريات المادية، المطبقة بكلكلها على الإنسان المعاصر.



الفصل الأول

النية الصالحة وأثرها في موضوعات الدعوة

تتميز الدعوة الإسلامية بوضوح في أهدافها، وتناسق في أسسها، تستعصي على التناقض، وتنوء عن الغلو والتطرف، نظراً لتماسك بنيتها وقوة متانتها، وتستدعي ضرورة الدعوة إبراز محاسنها، وإبانة فضائلها، بأهلية معتبرة، وآلية متقنة، وتلك مهمة كبرى، تستحق البذل والجهد المتواصل، بيد أن الأخذ بمنطلق العمق العلمي، والتأصيل العقدي، طريق قوي لفتح آفاق التأمل المفيد، والنظر السديد، من خلال العناية ببيان أثر النية الصالحة في أسس الدعوة وأهدافها الرئيسة، التي تثبت ربانية هذه الدعوة وبراءتها من المقاصد السيئة، والأهداف المنحرفة، وفي المباحث التالية إشارات موجزة إلى ذلك.

المبحث الأول : العقيدة

تمثل معرفة المهام العظام ذات الأهداف النبيلة والمقاصد القويمة، غاية سامية، لايتوصل لمعرفتها بمجرد الاحتراف الظاهر المجرد من الكفاءة، والخبرة، ولاسيما في مجال الأسس العقدية، والقناعات الفكرية، وهذا أمر ملموس في العلاقة بين أعمال الجوارح والقلوب في الإسلام بأن (من تأمل الشريعة في مصادرها، ومواردها علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب

أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وهل يميز المؤمن من المنافق إلا بما في القلب)[٦١]، وهو ما يطلق عليه لفظ العقيدة، والتي تدور مادتها اللغوية على معاني (الوثوق، والشدة، والصلابة)[٦٢]، كما تفيد هذه المادة اللغوية حين استخدامها مقترنة بأبعادها الاصطلاحية، ما ينطوي عليه القلب من اعتقاد صحيح، إذا كان جازماً موافقاً للشرع، كما هو حال اعتقاد المسلم، أو اعتقاد مهزوز ومضطرب، لا يستند إلى صدق، ولا يتكئ على جزم كما هي عقيدة المنافق، أو يخالف الشرع كما هي عقيدة المشركين بمختلف عقائدهم، إن فيصل الفرقان بين تلك الأطراف يعود إلى صحة العقيدة، أو فسادها، ونخلص من هذا كله أن العقيدة الصحيحة هي: كل ما أمر الشرع المؤمن باعتقاده، وتصديقه بلسانه، وقلبه، وجوارحه من مسائل الإيمان والنبوات وسائر القضايا الغيبية بصدق لا يخالطه شك ويقين لا يشوبه تردد[٦٣]، ونلمح بوضوح في هذا التعريف العمل القلبي المتصل بسبب إلى النية الصالحة، فليس من المستغرب تداخل المصطلحات، وتعانق المعاني، والتقاء المفاهيم، وانصهارها في الحقيقة العلمية المجردة، ولتوضيح وجهة تلك النظرة العلمية، فإن التأمل الدقيق لكلمتي النية والعقيدة، يكشف عن مدى التمازج، والارتباط الوثيق بينهما، وهذا في حد ذاته يعد دلالة خالدة على مدى اتساق النية الصالحة مع البناء العقدي والسمو الفطري للانسان، فالنية كما تقدم من معانيها القصد والعزم وبذلك تلتقي مع العقيدة في أعمال القلوب، وبينهما عموم وخصوص، تلتقيان على نياط القلب صدراً، ومورداً، ولمزيد بيان فإن العقيدة الصحيحة ما هي إلا اعتقاد جازم بالقضايا والمسائل الإيمانية التي تستقر في القلب بتوجيه النية الصالحة المرتبطة بذلك الاعتقاد، وحين الاستعراض لأركان العقيدة نلمس ذلك واضحاً، فالإيمان بالله سبحانه وتعالى، وبربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، تصديق جازم وإرادة صادقة، تستبطن القلب، وشعور كامن في نواحيه، يلبي نداء الفطرة، ويعبر عن كينونة النفس، المتأبطة لأشواق الروح، وتطلعات

الفكر النابع من النية الصادقة الموجهة بالعلم الرباني، والناموس الشرعي، ومتى كانت هذه النية صادقة وجازمة لا يشوبها شك ولا يعتريها ريب، مسددة بالوحي ومؤيدة بالبرهان، كمل باطن الاعتقاد، وحسنت لوازمه الظاهرة، واستحوذ على العمل بآثاره، وأنواره، وتباشيره، وقل مثل هذا في سائر أركان الإيمان الستة، إلا أن النية وحدها لا تكفي لتسديده وتقويمه، بل لابد من استكمال بقية الشروط واللوازم العلمية، والعملية الملازمة لهذا الاعتقاد أو ذاك، ومما يؤكد هذا الارتباط ومتانته بين النية والعقيدة، أن خوارم الاعتقاد ونواقضه ذات صلة بالغة بالنية إذ تتأثر العقيدة سلباً، وإيجاباً، وصحة، وفساداً بها، فنواقض الإيمان كثيرة جداً أوصلها بعض العلماء إلى أكثر من أربعمائة ناقض)[٦٤]، ترتبط وتدور على فلك النية، وبالرجوع إلى تعريف الإيمان الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة كما نقله الإمام ابن عبدالبر[٦٥] بقوله: (أجمعوا على أن الإيمان قول اللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالجوارح)[٦٦] فهذه الثلاثية الذهبية شرط لاستكمال حلية الإيمان، الذي تستبطن فيه النية سويداء القلب، وينطق بها اللسان تصديقاً، وتكليفاً، وتتمثل الجوارح بها تسليماً، وانقياداً، فإن حصل تغاير بين القلب واللسان فثمَّ النفاق بعينه يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾[٦٧]. فهذا أحد نواقض الإيمان الكبرى (فإنه إذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها، وكونها نافعة)[٦٨] ويظهر ارتباط النية بالعقيدة الصحيحة حين إطلاق الكفر، أو عدمه، إذ لابد من سبر نية المظنون به، حتى لا يتهوك الخائضون في هذا المهيع، ويتورطوا في ذلك المستنقع، دون مراعاة للمقاصد (فإن القصد الباطن في المسألة التكفيرية أحوال متنوعة، فقد يكون القصد مكفراً دون أن يدل عليه العمل الظاهر، ومرة يكون العمل الظاهر قاطعاً على الكفر الباطن، ومرة يلتبس المعين بما هو كفر مطلقاً، لكن يمنع من تكفيره الاحتمال في قصده، وحالة رابعة، حيث يأتي المعين

بقول مجمل، أو فعل مشكل يحصل التردد في قصده، ومراده، مما يوقع تردداً، وتوقفاً، واختلافاً بين العلماء في تكفيره)[٦٩]، وبهذا يتبين أن من العسير الفصل بين الأحداث، وملابساتها، والأقوال ودوافعها إلا بمعرفة النية (ومن أنكر أن يكون للفعل صفات ذاتية لم يحسن إلا لتعلق الأمر به، وأن الأحكام بمجرد نسبة الخطاب إلى الفعل فقط، فقد أنكر ما جاءت به الشرائع من المصالح، والمفاسد، والمعروف، والمنكر، وما في الشريعة من المناسبات بين الأحكام، وعللها، وأنكر خاصة الفقه في الدين الذي هو معرفة حكمة الشريعة، ومقاصدها، ومحاسنها)[٧٠]، وأحسب فيما تقدم من بحث برهان كاف، ودليل شاف لبيان علاقة النية بالعقيدة، جدير بالداعية المسلم أن يستحضر قدرها، وينزلها في دعوته بالمقام الذي يليق بها، علماً، وعملاً ودعوة.

المبحث الثاني: العبادة

تهتم الشرائع السماوية قاطبة، بتعبيد الإنسان لخالقه، وإخضاعه لناموس بارئه يقول سبحانه وتعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[٧١]. والعبادة في تصريفها اللغوي تفيد معنى التذلل والخضوع[٧٢]، الذي يغطي نشاط الإنسان كله لكونها (اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة)[٧٣] وبهذه الحيثية فإن العبادة في الإسلام (لا تنتهي عند حد الاعتراف بالله، والانقياد تحت حكمه، وعمارة قلبه بذكره، حتى يكون العبد بقلبه، وجوارحه حاضراً مع الله، ومراقباً له غير غافل عنه، وأن يكون ساعياً في مرضاته، وما يقرب إليه حسب طاقته)[٧٤]، ويتجلى هذا الفهم الثاقب، والفقه المستنير في ارتباط النية بالعبادة، برباط وثيق لا ينفك إلا ببرزخ الفساد وعلق البطلان، بيد أنه ارتباط لا عَنَتَ فيه، ولا

شدة، يريح المكلف، ويعتقه من رتابة العادة وآصار التقليد، وظلمة الغفلة، وغلالة المعصية، وربقة الشرك، ولما كانت العبادة إحدى أسس الدعوة وركائزها، فإنها تقضي على الدعاة الجد في بيانها، وكشف حِكَمِها وتلمس عللها، لإقناع المكلفين، وحملهم على القيام بحقها، على نحو يضمن صحة أدائها ويحقق بركتها ويمنها، الذي يزيد المكلف تعلقاً وتشبثاً بها، فليست العبادة جلداً للذات، ولا كبتاً للأنفاس بقدر ما هي روح وقوة، ومطهرة زكية، وسكينة سابغة، لها طعم لا يعبر عنه بالألفاظ، ولا يرقم بالصور، وإنما شعور مستكن، وأنس سابغ، يقشع وحر الصدور، ويزيل المخاوف ويوطن الأمن بين الجوانح والحنايا، ويبعث على الأمل، والجد في العمل، ولابد (فيها من شيئين: أن يراد بها وجه الله، وأن تكون موافقة للشريعة، وهذا في الأقوال، والأفعال من الكلم الطيب، والعمل الصالح في الأمور العملية والأمور العبادية)[٧٥]، وثم ضمانات تفرضها النية تصون العبادة من عاديات الانحراف، وقوادح القبول تتمثل فيما ذره الإمام القرافي بقوله:

١- (أن يكون المنوي معلوم الوجوب، أو مظنون الوجوب، فإن المشكوك تكون النية فيه مترددة فلا تنعقد، ولذلك لا يصح وضوء، ولا قُبِل اعتقاد الإسلام، لأنه عنده غير معلوم، ولا مظنون .

٢- أن تكون النية مقارنة للمنوي، لأن أول العبادات، لو عُري عن النية، لكان أولها متردداً بين القرابة وغيرها، وأجزاء الصلاة تبع له بدليل أن أولها، إذا نوى فرضاً، أو نفلاً، أو قضاء، أو أداء كان آخرها كذلك متردداً فلا تصح قربة)[٧٦]، ولما كان موطنها القلب، ومسكنها الفؤاد، فلا داعي إلى الجهر بها، ولم يظهر هذا الرسم عند الأئمة المعتبرة إلا عند المتأخرين من أصحاب أبي حنيفة[٧٧] والشافعي[٧٨] ولم ينقل عن النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه فعل ذلك)[٧٩]، فضلاً عما في ذلك من الذهول عن أعمال

القلوب، والاكتفاء بالمظهر عن المخبر، مما يؤول إلى إفراغ العبادات من محتواها، والاستغناء بالرسوم والحركات الظاهرة الخالية من روح العبودية، حيث إن استحضار النية، يحول العادات إلى عبادات (كالأكل والشرب والنكاح، إذا نوى المكلف التقوي بها على الطاعة، والتعفف عن الحرام، وأما الأعمال التي ظاهرها القربة، وإن كان ظاهرها القربة، وإن كان موضوع فعلها للعبادة، أو إذا فعلها المكلف عادة لم يترتب الثواب على مجرد الفعل، وإن كان الفعل صحيحاً يقصد به العبادة)[٨٠]، ويزيد الإمام ابن تيمية[٨١] بياناً مؤكداً على أهمية النية، وأثرها في العبادات بقوله: (النية المعهودة في العبادة تشتمل على أمرين: قصد العبادة وقصد المعبود هو الأصل الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ وبه يتميز من يعبد الله مخلصاً له الدين، ممن يعبد الطاغوت وهو الدين الخالص، الذي تشترك فيه جميع الشرائع)[٨٢]. وبهذا تكون النية الصالحة محققة للحكمة من الدعوة إلى العبادات حتى يكون العبد بقلبه (وجوارحه، حاضراً مع الله، مراقباً له، غير غافل عنه، وأن يكون ساعياً في مرضاته، وما يقرب إليه حسب طاقته)[٨٣]، فبتحقيق النية يمكن (التمييز بين العادات والعبادات، وتمييز مراتب العبادات بعضها من بعض) [٨٤]، ولا ينحصر أثر النية الصالحة في ذلك، بل يشمل حياة المكلف كلها، مما يلزم الدعاة إبراز منحى هذا الاتجاه على نحو يزيد المكلفين تعلقاً بالعبادات. وتحلياً بالطاعات، بحيث تنتفي صور التناقض، والازدواجية من حياتهم مطلقاً.

المبحث الثالث: المعاملات

لايفتأ الفكر المتدبر لحكم الشريعة من التقاط درر الفوائد، ومحاسن الفرائد، مبهوراً في الوقت نفسه، بعجيب فوائدها ومنثور حكمتها في غير ماشقة، ولا كلفة، وفي فقه وطرائق المعاطاة في الشريعة، آيات باهرة، تشهد على قداسة المأخذ، وجلالة المترع، تعفي المتعاملين في ظلالها من وحشية الأفعال، وبذاءة الأقوال.

إذ تقوم المعاملات المؤطرة بالنية الصالحة في الإسلام، على مراعاة المصالح، ودرء المفاسد، وصيانة الحقوق، والتحاجز عن سفاسف الأمور.

والمعاملات (جمع معاملة وهي: مفاعلة من (عمل)، وعامله: تصرف في بيع ونحوه، وتعاملا: عامل كل منهما الآخر، والعامل: هو الذي يتولى أمور الرجل في ماله، وملكه وعمله)[٨٥] والمقصود بها في الاصطلاح (الأحكام الشرعية المنظمة لتعامل الناس في شؤون الدنيا، وذلك كأحكام البيع، والشراء، والرهن، والتجارة، والمزارعة، والصنعة، والإجارة، والشركة، والمضاربة، والنكاح، والرضاع، والطلاق، والعدة، والهبات، والمواريث، والوصايا، والحرب والصلح وغير ذلك مما يحتاج إليه الناس في معاشهم واجتماعهم)[٨٦].

ويتبدي لنا بوضوح في تعريفها الالتفات إلى المعاني والمصالح الجارية بين الناس، إذ إن الشريعة السمحة، عنيت بتيسير حياة الناس، على مبدأ التعاون، والتكامل، وتبادل المنافع في إطار الحكمة، والعدل، والصيانة، والبذل كما قال الإمام الشاطبي[٨٧]: (وأما أن الأصل في العادات الالتفات إلى المعاني، فلأمور أولها: الاستقراء، فإن وجدت الشارع قاصداً لمصالح العباد والأحكام العادية تدور معها حيثما دارت، فترى الشيء الواحد يمنع في حال لا تكون فيه مصلحة، فإذا كان فيه مصلحة جاز)[٨٨] وهذه المصلحة الشرعية منوطة في التشريع، ومعتبرة في الاستدلال،

تملي على الفقيه النظر والتأمل في مواطن الحِكم الشرعية، وتستوجب على الداعية حسن العرض لها، انطلاقاً من إبانة ثمرات النية الصالحة، وتحقيق مقاصد الشريعة في بث روح العدالة، والإنصاف حيث إن (التربية، والتشريع في المنهج الإسلامي متلازمان، أو متداخلان، أو متكاملان، فالتشريع منظور فيهما إلى ربط القلب بالله، وإشعاره بمصدر هذا المنهج المتكامل من التشريع، وهذه خاصية المنهج الرباني للحياة البشرية، هذا التكامل الذي يصلح الحياة الواقعية، ويصلح الضمير البشري في ذات الأوان)[٨٩] والعلة في ذلك أن حديث النية الشهير يتصل بأساس المعاملات كما قال الإمام الشافعي: (حديث النية يدخل في سبعين باباً من الفقه، وماترك لمبطل، ولا مضار حجة إلى لقاء الله تعالى)[٩٠]. وقال الإمام النووي معلقاً على تلك المقولة: (لم يرد الشافعي —رحمه الله — انحصار أبوابه في هذا العدد فإنها، أكثر من ذلك)[٩١] ويعلل الإمام ابن دقيق العيد[٩٢] سعة فقه الحديث المستوعبة لأبواب المعاملات بقوله (كل مسألة خلافية حصلت فيها النية، فلك أن تستدل بهذا الحديث على حصول المنوي، وكل مسألة خلافية لم تحصل فيها نية فلك أن تستدل بهذا الحديث على عدم حصول ماوقع فيه النزاع)[٩٣] ويعود ذلك إلى عناية الإسلام بتنظيم حياة الناس في قالب من العدالة والانضباط، وضمن حدود الأدب، والفضيلة، وذلك أن الانهماك في الحياة العملية والممارسات اليومية مدعاة للدخول في علاقات بالغة التعقيد، تستلزم ترسيخ النوايا الحسنة، بحيث تسمح بانسياب العلاقات الإنسانية في جو مفعم بالصدق، والشفافية، فقد اعتبرت الشريعة القصد في الألفاظ معتبراً في الأحكام، فلكل (عقد لفظاً معيناً، فإذا استعمل المكلف هذه اللفظة، أو مايقوم مقامهاوكان راضياً مختاراً لزمه مادلت عليه)[٩٤] وبهذا وضعت الشريعة السمحة سداً منيعاً أمام التلاعب بالألفاظ، أو محاولة الالتفاف على الأحكام الشرعية فإنه (من تأمل الشريعة، ورُزق فيها فقه نفس، رآها

قد أبطلت على أصحاب الحيل مقاصدهم، وقابلتهم بنقيضها، وسدت عليهم الطرق، التي فتحوها للتحليل الباطل)[٩٥] ولايعني ذلك التميع أو الجمود وعدم المرونة، بل أعطت لكل حالة لبوسها، وقدّرت الظروف، والملابسات المحيطة بكل حادثة، أو ظرف عارض، مراعاة لحال المكلف وقصده، فمثلاً نجد في الشريعة تعظيم شأن الدم الحرام، وتحريم فاعله، وترهيبه بالوعيد الشديد في الآخرة، والقصاص في الدنيا، بيد أن الحكم يتخلف حتماً، فيمن أراد أن يرمي صيداً، فأصاب إنساناً فقتله، وهو المسمى بقتل الخطأ، وإنما عليه الدية والكفارة فقط كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾[٩٦].

كما راعت الشريعة العوارض الطارئة للإنسان، ولهذا فإنه من عمل عمــلاً و لم ينوه، و لم يقصده لعارض كالنوم والنسيان ونحو ذلك فإن هذا العمل لا يترتب عليـــه من الآثار والأحكام، مايترتب على من قصد العمل وأراده، ولهذا فإنه لايؤاخذ الناسي والمخطيء، إذا لم يقصد مافعله، ولكن (ليس هذا على إطلاقه، فإنه يفرق بين الخطأ في الأحكام والإتلاف في الأحوال، والتعدي على الأنفس بقتل أو جرح، فإذا وقع الخطأ أو النسيان في شيء من الأحكام التي تتضمن إتلافاً واعتداءً، فإنه معفو عـــن خطئـــه ونسيانه، وإنما يتقي عليه الإعادة إذا كان النسيان حصل بسبب إتلاف مال لأحـــد،

لزمه ضمان، فإن تعلق حكم الضمان بذات المال أقوى من تعلقه بالنية)[٩٧] كما أن للنية اعتباراً في الأجزاء ووقوع الأداء أو عدمه فمثلاً اليمين لاتنعقد بمجرد الدعوى (فإن من سبق لسانه إلى لفظ اليمين بلا قصد، فلا تنعقد، ولا تتعلق به كفارة)[٩٨] وتلتقي النية مع الأصل في قاعدة الأخذ بسد الذرائع، ويظهر جلياً في العقود فإن كل (من قصد بالعقود الشرعية غير ماشُرعت له من حصول الحرام، أو سقوط الواجب فهو مخادع لله)[٩٩] وتلك أمثلة موجزة تكشف ارتباط النية بالمعاملات للخلوص من الظلم، وتحقيق مراد الشارع الحكيم في حفظ الحقوق وقطع دابر الخلاف الذي يمثل هدف الشرائع السماوية قاطبة، والتي تدور المعاملات فيها على ثلاث:

(الأولى: درء المفاسد، المعروف عند أهل الأصول بالضروريات.

الثانية: جلب المصالح، المعروف عند أهل الأصول بالحاجيات.

والثالثة: الجري على مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات المعروف عند أهل الأصول بالتحسينات والتتممات، وكل هذه المصالح الثلاث، هدى فيها القرآن العظيم للطريق، التي هي أقوم الطرق وأعدلها)[١٠٠] فالحكم الشرعي يترع نحو تقرير المصالح، ويرتاد اليسر، ويؤصل الفضيلة، وينشر العدل من خلال إصلاح النية، وتوجيه المكلفين إلى تحسينها ديانة واحتساباً، من أجل امتلاك ناحية المراقبة الذاتية، وإيقاظ الضمائر، وتصيير الحياة الدنيا برمتها، لينعم بها الإنسان في غير إثم، ولا عصيان.



المبحث الرابع: الأخلاق

لا يحار المتأمل في مضامين الشريعة الإسلامية، ولا تلتبس عليه مفاهيمها الدالة على حرص الشارع الحكيم، على تكميل الجنس البشري، وترقية سلوكه، وتهذيب أخلاقه من أجل الوصول إلى رتبة الكمال الممكن، وهذا ماعناه النبي ﷺ بقوله: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[١٠١] فالأخلاق الكريمة إحدى المقاصد الكبرى للرسالة الإسلامية، التي غطت جميع مناحي الحياة بالصبغة الأخلاقية، بحيث جعلت لكل مبدأ، وتصرف، ومعامله، وحركة وسكون أخلاقاً رائعة، وتصرفات راقية تجاوزت حدود الذاتية الإنسانية، ومظاهر المشاعر العاطفية، إلى التجذر العميق، والرسوخ المتين في ميدان الحياة العامة، ابتناءً على العلاقة الوطيدة بين الأخلاق والعقيدة، التي (تتصل بالأخلاق ذاتها ومعناها الإيمان بالحقيقة الأخلاقية، كحقيقة قائمة بذاتها، تسمو على الفرد، وتفرض نفسها عليه، بغض النظر عن أهوائه، ومصالحه، ورغباته، غير أن موضوع هذه العقيدة يمكن تصوره بطريقتين مختلفتين، فعلى حين أن الملحد العقلاني، يقف عند فكرة جامدة، أو عند مفهوم مجرد، أو عند كيان أخرس، لا حياة فيه، نجد أن المؤمن يتعرف في هذا النداء الداخلي على صوت معبوده[١٠٢]، ويترجم في ثنايا قلبه الرسالة السماوية لخالقه، ونجده خلف الفكرة يلمح حقيقة حية مؤثرة، ويشعر أنه مرتبط بها ارتباطاً قوياً، ويستمد منها على الدوام القوة والنور، ويشعر نحوها بأعمق مشاعر الاحترام ممزوجة بأرق مشاعر الاحترام، هذه الشعلة العاطفية التي تحرك إيمانه العقلي في الوقت نفسه طاقاته الخلاقة، وهو حين يتوقف أو يسقط لاييأس منه، وأنه سيعاود الوقوف على قدميه، ومتابعة المسيرة، معتمداً على تلك القوة الهائلة، التي يستمد منها العون، وبذلك يمكن القول إن الأخلاق لا تجد مكاناً تزدهر منه من ضمير المؤمن)[١٠٣]، ولا جرم أن في صدى الضمير وكنهه، وبوحه، تتجسد أنوار العقيدة

الصحيحة على صفحات النية، وبدون التعويل على إصلاحها، يصبح الضمير كهفاً للمجاملة، وموئلاً للنفاق، والمداهنة يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه[١٠٤] :(لا ينفع قول إلا بعمل، ولا ينفع قول وعمل إلا بنية، ولا ينفع قول وعمل ونية إلا بما يوافق السنة)[١٠٥] ولما كانت الأخلاق متصلة في معناها ومبناها بالسجية، والطبع[١٠٦] فإن تطويعها، وترويضها يعتمد على إصلاح منبعها الباطني الدائر على محور النية لكي تصبح مَلَكة راسخة في النفس كما عرَّف العلماء الأخلاق بأنها: (هيئة مركبة من علوم صادقة وإرادات زاكية، وأعمال ظاهرة، وباطنة موافقة للعدل، والحكمة، والمصلحة، وأقوال مطابقة للحق تصدر تلك الأقوال، والأعمال عن تلك العلوم والإرادات، فتكتسب النفس بها أخلاقاً، هي أزكى الأخلاق، وأشرفها، وأفضلها)[١٠٧]، وتتنوع في الإسلام عوامل بناء الأخلاق الطيبة، ويأتي في طليعتها تزكية الأفئدة بالإخلاص، وتخليصها من أدران المقاصد السيئة، واحتساب النية الصالحة في تطبيقها، باعتبارها قربة وعبادة، تستوجب نية التقرب إلى الله تعالى، وابتغاء ما عنده من الثواب، واتخاذ جميع الأسباب المعينة على الوصول إلى أعلى رتب التهذيب إذ لا سبيل لذلك كله (إلا إذا كانت صادرة من تصور مقصد مما يرجع إلى التهذيب، دون العادة، وموافقة الناس، أو الرياء، والسمعة، أو القضاء جبِلَّة)[١٠٨] ولباب المسؤولية في هذا الباب يتوجه إلى ضرورة إيقاد مشاعل النية الصالحة في نفس المكلف للوصول إلى المثل العليا، من اتساق ظواهر الأخلاق مع بواطنها على وفق التوحيد الخالص مع بذل الجهد المضاعف لترويض النفس العصية، وكسر حدة سورتها المتمردة، لا سيما أن الإنسان مهيأ لتقبل تلك الرياضة، وتمثلها كما قال النبي ﷺ (أصدق الأسماء حارث وهمام)[١٠٩] وهذان الاسمان يتسق المسمى فيهما مع المعنى فإنه (لما كان كل عبد متحركاً بالإرادة، والهم مبدأ الإرادة، ويترتب على إرادته حركته، وكسبه، كان أصدق الأسماء اسم

همام، واسم حارث، إذ لا ينفك مسماهما عن حقيقة معناهما) [١١٠].

فالعلم النظري وحده لا يعد كافياً لتهذيب أخلاق الإنسان ما لم يشفع بنية حسنة تصطبغ بوسائل عملية أخرى، إذ لابد (من وسائل أخرى للتهذيب، والتربية، تحفز الإرادة وتبعث الهمة على الالتزام في السلوك بما توجبه من عمل الخير، والبعد عن الشر، وهذه الوسائل تنحصر في نوعين:

أولهما: الثواب، والعقاب اللذان يدفعان الإنسان إلى عمل يعود عليه بالخير، ويمنعانه عما يسبب له الأذى.

ثانيهما: التربية الخلقية التي تتعهد النفس الإنسانية، فتنمي فيها حب الخير، وكراهية الشر حتى تصل بها إلى عمل الخير، حباً فيه دون نظر إلى ما يترتب عليه من جزاء مادي، بل يدفعها إليه ما تشعر به من الرضا، والراحة عندما تفعله، وتمتنع عن الشر لما تحسه من كراهية ونفور من التلبس به، دون نظر إلى ما يعقبه من عقاب، ومأخذ، والإنسان في تفاوت أفراده يحتاج إلى كلا النوعين، والمنهج السليم، هو الذي يأخذ في اعتباره الطبيعة الإنسانية، وتفاوت استعدادها، فيواجه كلاً بما يناسبه، ويقوده بما يصلح له) [١١١]، ومتى توفرت هاتيك العوامل صدرت الأخلاق الحسنة من غير كلفة، ولا عنت، فتلخص لنا مما تقدم أن علاقة النية الصالحة بأسس الدعوة، متينة وراسخة لا تنفصل بحال، ولا تستغني عنها باختلاف الأحوال، باعتبارها شرط في صحتها، وكمالها، لا تتحقق ثمرات الأسس ولا تستجدي آثارها إلا بها.


* * * * *

الفصل الثاني
أثر النية الصالحة في تحقيق مقاصد الداعية

لا يفتأ العقل البشري من التصور، ومد رواق الخيال الفكري، مقترحاً حيناً ومستدركاً حيناً آخر، وقد يسمو به الفكر في أفيائه ويحلق به في أطيافه، لينثر ما في كنانته من الحلول، والأفكار، متمثلاً ذلك في برامج ونظريات ومشاريع، تبقى حبيسة الفكر، حتى يتهيأ لها ما يخرجها من عالم الفكر إلى دنيا الواقع، عن طريق شخصيات من طراز خاص، ومسلاخ رفيع، يتسم بالجدية، ويؤمن بالندية، ويقبل التحدي، ويعشق الفاعلية، ويروم تحقيق الأهداف الخيرة، من غير يأس، ولا قنوط ما دامت تحت مقدور البشر، وتحت طائلة القدر، فلا يسمون الإخفاق فشلاً، ولا تكرار المحاولة مستحيلاً، وإذا ما وصلوا إلى مسعاهم وحققوا مناهم فلا تراهم، يصعروا خدودهم بطراً، ولا لي أعناقهم أشراً، والدعوة إلى الله تحتاج إلى هذا الطراز الفريد، الذي ينهضو بالدعوة حقاً، ويحملها في قلبه صدقاً على حد قول الشاعر ...

ومن هو في الصلاة حديث نفسي   وعدل النفس عندي بل يزيد[١١٢]

وللوصول إلى هذه الرتبة المنيفة، فلا مناص من تأهيل الدعاة، وتربيتهم على هذا النمط العالي، ابتداءً بتفعيل دور النية الصالحة، وتمكينها من أداء دورها الفعال في بث روح الجد، والمثابرة، وتأصيل مدارج الصدق، والمرابطة، كما يتضح ذلك في المباحث التالية:

المبحث الأول: تأهيل الداعية

تتعدد قنوات التأثير التربوي، وتختلف في أهميتها، وتتغاير في نتائجها، وتقضي الحكمة أن يتم البناء من القاعدة، في كل مشروع يراد تثبيته، ولا سيما في تنفيذ المهام الكبرى، ذات العلاقة بالتأهيل التربوي والقيادي، وفي هذا المجال، لا يقدم الفرع على الأصل، ولا يؤخر ما حقه التقديم والأولية على نقيضه، وبالإمكان عزو الانقطاع الدعوي، والإخفاق، وعدم التأثير لدى بعض الدعاة إلى الذهول عن تلك الحقائق الثابتة، التي لم تنل اهتماماً مناسباً –لدى البعض– فكان لزاماً الاعتناء بالباطن قبل الظاهر، انطلاقاً من تأصيل النية وصقلها، باعتبارها التربة الصالحة، لبذرة الغراس التربوي، وعلى قدر ما تُسقى به من العلوم النافعة وتطعيم الإرادات الصادقة، تمتد أفنانها المباركة، وتعظم ثمارها الخيرة، وتخضر ظلالها الوارفة، ويحكم الناظر بادي الرأي بحسنها وروائها، وتتوافق هذه المعادلة الطبعية مع السنن التربوية، والشرائط الدعوية، إذ إن الداعية رسول هداية ومنارة علم، ومثابة إصلاح تشرئب إليه الأعناق، وتميل إليه الأفئدة، وتصيخ لكلامه الآذان، وتلك مهمات صعبة يكتنفها التعقيد، ويمازجها العناء، ويستبطنها الابتلاء، ولا يُترشح لها بالتزين، والتصدر، والأمر الأُنُف، إذ لا مناص من معاناة طويلة ومراس شديد، تصقل فيهما شخصية الداعية بالمواهب، وتخلص من الكوادر، والشوائب، وليس من حق الغر الجهول، أن يرفع عقيرته بالاعتراض، ويعتبر ذلك من ضرب المحال، وتعسير السهل، وتعقيد الفعال، ولو أنه عرف أن الدعوة تكليف، وأمانة، ورعاية، ورسالة، لما مطّ لسانه بالإنكار، وقطّب جبينه، وزمّ أنفه بالكراهية والإدبار، فليست الدعوة محاضرة تُلقى، أو عظة تُقال، وإنما هي محراب الابتلاء وميدان الامتحان، لا يثبت على غرزها المبارك إلا الأكفاء المخلصون، والحواريون الصادقون، إذ إن من مستلزماتها قلب ظهر المجن للعادات والتقاليد الخاطئة،

والنطق بكلمة الحق، وإنكار المنكر، وحصاد ذلك كله، لا يخرج عما خوطب به الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام واتباعهم المخلصون من أذى جسدي وبلاء معنوي، يطفح بالسباب والشتائم والضرب المبرح حيناً والقتل أحياناً أخرى، فكان الاهتمام برعاية بذرة الإخلاص، والاحتساب، وإنمائها، والعناية بها، ضرورة شرعية، وحاجة دعوية، من خلال النية الصالحة، لتثبيت الدعاة وترسيخ احتسابهم، واستعذاب المشقات، وتحمل التبعات في سبيل نشر دعوة الله الحقة، إيماناً بوعد الله بالعاقبة الحسنة للمتقين ونَجَح المقاصد الخيرة للصالحين، ولما كان الفتور، والسآمة، والملل نوازع تفترس النفس البشرية العاملة، فتصيبها بآفات الخمول، والكسل في فترة الضعف البشري، نجد في هذه الحالة، أن تدخل النية ضرورياً، لانتشال الداعية من تلك النوازع، والآفات، لتجاوز تلك العوارض الطارئة، كسحابة صيف، لا أثر لها في وهن عزيمته ولا أضعاف منته، بما للنية الصالحة من بث صبغة الاحتساب والمصابرة في روع الداعية واستحالة ذلك إلى مرابطة وديمومة، وثبات، فإن ما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره منقطع لا محالة وإن جلب بخيله ورجله، وصمّ الآذان بصخبه، وملأ العيون ببهائه، فنهايته البوار وعاقبته الخسران، فحق على كل داعية يرنو بعينه إلى رتبة الكفاءة، ومترلة الاقتدار، أن لا يبخس قلبه من حظوظ توطين النية الصالحة وعمارتها لقلبه بالصدق وبرد اليقين، وحصاد ذلك ولا شك، انشراح في الصدر، وشجاعة في القلب، وبركة في الوقت، ويمن في الجهد، وتوفيق في العمل، والحق أن ذلك من أوليات بناء الداعية وتأهيله، مما يلزم الانتقال الجذري من محيط هيمنة النفس، وعيوبها إلى طور التجرد الكامل من كل العلائق المثبطة والضارة والمكروهة، وضرورة تحسين النية، وإصلاحها أمر ليس بالسهل الاستحواذ عليه يقول الإمام الغزالي(١١٣): (اعلم أن الجاهل يسمع ما ذكرنا من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله ﷺ (إنما الأعمال

بالنيات) فيقول: عند تدريسه، أو تجارته، أو أكله نويت أن أدرس لله، أو آكل لله، ويظن أن ذلك نية، وهيهات، فذلك حديث نفس، وحديث لسان، وفكر أو انتقال من خاطر إلى خاطر، والنية بمعزل من جميع ذلك كقول الشبعان: نويت أن أشتهي الطعام، وأميل إليه، أو قول الفارغ: نويت أن أعشق فلاناً، وأحبه، وأعظمه بقلبي ذلك محال)(١١٤) بيد أن الإصرار على تهذيب النية، ومراقبة المقاصد لابد آت –إن شاء الله– بما تقر به أعين المخلصين، وتلك مرحلة مهمة ونهاية سعيدة، تقتضي ثلاثة شروط أساسية للوصول لتلك الرتبة العالية، وهي:

أحدهما: تصفية القصد من ذل الإكراه، أي لايسوق الداعية نفسه إلى الله كرهاً كالأجير المسخر المكلف، بل تكون دواعي قلبه، وجواذبه منساقة إلى الله طوعاً ومحبة وإيثاراً، كجريان الماء في منحدره، وهذه حال الدعاة الصادقين، فإن عبادتهم تكون طوعاً، ومحبة، ورضا، ففيها قرة عيونهم، وسرور قلوبهم، ولذة أرواحهم كما قال النبي ﷺ :(**وجعلت قرة عيني في الصلاة**)(١١٥) وكان يقول ﷺ :(**يابلال أرحنا بالصلاة**)(١١٦) فقرة عين الداعية، ولذته، ونعيم روحه في طاعة مولاه، بخلاف المحب الداعية طاعة محبوبه قوتاً، ونعيماً، ولذة، وسروراً، فهذا ليس الحامل له ذل الإكراه.

والثاني: تحفظ الداعية من مرض الفتور؛ أي توقيه من مرض فتور قصده، وخمود نار طلبه، فإن العزم: هو روح القصد، ونشاطه، كالصحة له، وفتوره مرض من أمراضه، فتهذيب قصده، وتصفيته بحميته من أسباب هذا المرض، الذي هو فتوره، وإنما بتحفظ منه بالحمية من أسبابه، وهو أن يلهو عن الفضول من كل شيء، ويحرص على ترك ما لا يعنيه ولا يتكلم إلا فيما يرجو فيه زيادة إيمانه، وحاله مع الله، ولا يصحب إلا من يعينه على ذلك، فإن يكن بمن لا يعينه فليدرأه عنه ما استطاع، ويدفعه دفع الصائل.

والثالث: انصرافه عن الفضول، ومعنى ذلك نصرة حاضر العبودية المحضة، والإقبال على الله بكلية القلب، وإبعاد القلب عن كل مجاذبات مايشوش عليه، ويضعف انتباهه إلى قواعد العلم الشرعي الجامعة، التي بها حياة القلب، واستقامة السير)[١١٧] وهذه أمور ليست بالذي يحار في طلبها، أو يشك في أهميتها، ووجوبها، إذ إن الدعوة إلى الله عمل نبيل، ومقصد قويم، لاتؤخذ إلا بحقها، المتمثل في الإخلاص المرتبط بماهية الدعوة، ومقصدها العظيم كما أنبأنا الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[١١٨] فلايصح توجيه الدعوة لغير الله لما في ذلك من إنزالها من عليائها الربانية إلى المقاصد الأرضية، وهذا في حد ذاته سلب لقداستها واعتداء صارخ على مقام التوحيد، الذي هو حق الله على العبيد، وفتح المجال أمام المحترفين، لاستدرار المصالح المادية والمعنوية والإقبال عليها عند الطمع، والانفضاض عنها عند الفزع، وماتحمل دعوتهم من فداحة، وخطر ماحق يصيب مسيرة الدعوة، بما يبدد الجهود، وينزع القبول، من جهود الداعية، ويدعه خاسراً مخذولاً.

المبحث الثاني: تأثيره

إن السعي إلى تحقيق الأهداف الخيرة، وتسجيل النجاح في الأعمال الطيبة أمر مرغوب ومطلوب عند سائر العقلاء، وفي مجال الدعوة أعظم لزوماً، وأولى وجوباً، لكون مراميها خيراً محضاً، لاتشوبه شائبة من ضر، ولا عاقبة سوء، ولايعذر حينئذ داعية قصّر في البلاغ، أو أساء في الأسلوب، أو ضن بالوسيلة، وقد توجد تلك المعطيات وتتوافر هاتيك المطالب، ويتخلف النجاح وينعدم التأثير، فلابد من التساؤل عن السبب، والبحث عن العلة، فلا مفر من النظر من وجه آخر تكمن فيه الحقيقة، وفصل الخطاب، من خلال النظر في سلوك الداعية، ومدى استكماله لشرائط

الإخلاص، المتمثل في سلامة طويته، وصدق نيته، والتي تعتبر وسيلة اتصال معنوية بين المرسل والمتلقي، لاتُنال بالتكلف، ولاتستحوذ بالتصنع، بل هبة ربانية، يقذفها الله في قلب الداعية المخلص التي تتصل بمشاعر المدعوين، وتنشرح لها صدورهم وتنفتح بها أساريرهم، وتستقر في وجدانهم بالرحابة والقبول مكملة النقص الواقع في الوسيلة، مضيفة طابعاً من الانشراح لدى السامعين، وهذا مايتبدى واضحاً في دعوة المخلصين، الذين سرت دعوتهم سريان الريح، وأحدثت تغييرات مباركة في زمانهم (وقد جرت عادة الله التي لاتتبدل وسنته التي لا تتحول، أن يلبس المخلص من المهابة، والنور، والمحبة في قلوب الخلق، وإقبال قلوبهم إليه، وهو بحسب إخلاصه، ونيته، ومعاملته لربه، ويلبس المرائي ثوب الزور، والمقت، والمهانة، والبغضة، وهو لائق به، فالمخلص له: المهابة، والمحبة، وللآخر المقت، والبغض)[١١٩] فالمبادئ والقيم، إن لم تظهر حية منظورة في سلوك الداعين إليها يتخذ منها المدعوون مواقف، تتسم بالشك والريبة، والتردد، فبتحمل أولئك الدعاةوزد التقليل من شأنها حيث إن المبادئ لا تستطيع وحدها (أن تجذب إلى الإسلام إلا أفراد قلائل يتمتعون بالجرأة الخلقية الفائقة، والذكاء الكبير، لأن الكثرة الكاثرة من المجتمع البشري، سوف لا تؤمن بصحة، وصدق هذه المبادئ، إلا إذا رأوها تتبلور في الحياة، وتؤتي ثمارها حلوة ناضجة، وتتمثل في الواقع العملي، ولا يغيب عن الذهن، أنه لا يكفي في إثبات الإسلام خيراً، وصلاحاً للبشرية، أن تُتلى على الناس، قصص مؤثرة جذابة، من صحائف العهد الماضي الإسلامي الزاهر، كما لا يكفي أن توضع مقالات، أو تُلقى محاضرات حول الإمكان العقلي في بلورتها، وجعلها سارية المفعول من جديد في العالم البشري، بل الطريقة الوحيدة الفعالة المثمرة أن تتحقق هذه المبادئ كلها، وتتجسد في الحياة الاجتماعية التي تعيشها الجماعة المؤمنة)[١٢٠] ولنشدان النجاح، وطلب التأثير عنصران أساسيان لا غنى لكل عنهما والسعي في تحصيلهما، فيما يكون تحت الطاقة، وفي محيط الاستطاعة أولهما: إصلاح الإرادة.

أولهما: إصلاح الإرادة:

فالإرادة الجادة المخلصة، إحدى الروافد الرئيسة للنجاح، وإحياء جذوة العزم الذي لايهن، والرجاء المفعم بحسن الظن، والعجب أن يذهل بعض أرباب التصوف عن هذا الأصل السلوكي المكين، ويدعون إلى خلافه كما ورد في تعريف المريد عند ابن عربي[(١٢١)] (بأنه من انقطع إلى الله عن نظر، واستبصار، وتجرد عن إرادته)[(١٢٢)] وتلك طريقة خاطئة وشطح عن سبيل الحق، ولم تصب كبد الحقيقة بسبب، وكان الأولى الالتزام باستخدام المنهجية الشرعية، بدلاً من المصطلحات الدخيلة ذات الصبغة الفلسفية الموغلة في اللبس والغموض التي أفرزت مفاهيم مغايرة، صرفت الإرادات الحرة عن مناهل الهدى، وأغرت بالوقوع في الانحرافات، تحت وطأة جاذبية العبارات البراقة، فإن من المحال أن تقوى الإرادة ويشتد عودها، وتقوم على ساقها، مالم يقدم السالك عصارة جهده، ولباب أيده، مطعمة برحيق الإيمان، ولبانة العلم، وترياق العمل الصالح، والبعد عن مقارفة الذنوب، وبذلك تتعانق المعرفة النظرية بالإرادة العملية، وهي تفتقر (بالضرورة إلى معرفة، وإدراك للشيء المضر، والنافع، حتى يجلب هذه، ويهرب من هذا، فإن من لايبصر الغذاء، ويعرفه لايمكنه تناوله، ومن لايبصر لايمكنه الهرب منها، فخلق الله الهداية، والمعرفة، وجعل لها أسباباً، وهي الحواس الظاهرة والباطنة)[(١٢٣)] التي تستحثها الإرادات الصادقة وتنهض بها الهمم العالية.

ثانيهما: التجرد:

كثيراً ماتتعرض الإرادة، إلى هزات عنيفة، وأزمات شديدة، غالباً ماتقعد بالعاملين عن بلوغ أهدافهم، وتحقيق آمالهم، فيترتب على ذلك ضياع العمر، وانسلاخه في غير طائل، مما يستوجب على الدعاة خاصة، أن يأخذوا الحيطة، وكمال الأهبة، والعناية بإصلاح النية أولاً، لأن العبد (إذا كان مخلصاً لله اجتباه ربه، فيحيي

قلبه ويجذبه إليه، فينصرف عنه مايضاد ذلك من السوء والفحشاء، ويخاف من حصول ضد ذلك، بخلاف القلب الذي لم يخلص لله، فإنه في طلب، وإرادة، وحب مطلق، فيهوي مايسنح له، ويتشبث بما يهواه، كالغصن أي نسيم مرّ بعطفه أماله، فتارة الصور المحرمة وغير المحرمة، فيبقى أسيراً عبداً لمن لو اتخذه هو عبداً له، لكان ذلك عيباً ونقصاً وذماً،وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة فترضيه الكلمة، وتغضبه الكلمة، ويستعبده الدرهم والدينار وأمثال ذلك من الأمور، التي تستعبد القلوب، ومن لم يكن خالصاً لله عبداً له، قد صار قلبه معبداً لربه وحده لاشريك له، بحيث يكون الله أحب إليه من كل ماسواه، ويكون ذليلاً له، خاضعاً وإلا استعبدته الكائنات، واستولت على قلبه الشياطين، وكان من الغاوين، وصار فيه من السوء، والفحشاء مالا يعلمه إلا الله، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه)[١٢٤] وليس من السهل توطين القلب، وتثبيته على ميزان الإخلاص إلا بالإصرار، والسعي الدائم الذي لايقطعه ملل، ولاتثبطه سآمة فإن (الطريق إلى تزكية النفس باعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزكية الكاملة حتى إذا صار ذلك معتاداً بالتكرار مع تقارب الزمان، حدث منها للنفس هيئة راسخة، تقتضي تلك الأفعال، وتتقاضاه بحيث يصير ذلك بالعادة، والطبع، فيخفف عليه مايستقله من الخير)[١٢٥] ومدار ذلك كله على مدى إصلاح النية من عدمها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾[١٢٦] فجعل النية سبب التوفيق[١٢٧] وكما قال عمر بن عبدالعزيز[١٢٨] :(اعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية، فمن تمَّت نيته تمَّ عون الله له، وإن نقصت نقص قدره)[١٢٩] ومن أشد خوارم النية وقوادحها: الرياء، وتكمن خطورته من وجهين: خطورته على العمل وخفاؤه ولطافة تسلله، وخفة دبيبه، وفي الحديث (**يأيها الناس اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل**)[١٣٠].

فلاينهض مع الرياء عمل، ولايصح معه جهد، ولايتحقق من ورائه نجاح،

وبسببه يتم الخذلان، ويترع التأثير، ويسلب الإتقان، وتمحق البركة من الوسائل وإن عظمت، ومن الأساليب وإن حسنت، فنجاح الداعية مرتبط بصلاح النية، وخلوصها ومتى تكاملت حلقاتها المباركة، وانتظمت في قلب الداعية أمده الله بقوة هائلة (فلايتباطأ أن ينهض للدفاع عن الحق، ولايبالي مايلاقي في دفاعه عنه من أذى، فلايخشى من هذا الطراز أن يحارب الحق أو يلبسه بشيء من الباطل، ولو أمطر عليه أشياع الباطل، فضة وذهباً، ولايقلب الحقائق، أو يكسوها لوناً غير لونها، إرضاء لشخص، أو طائفة)[١٣١] وتلك علة النجاح، ومواصفات التأثير، التي تحتاجها الدعوة الإسلامية، لإيصال خطابها مصوناً وتقديم عطائها مبجلاً محمولاً، ترعاة الأيدي الأمينة، وتبلغه الألسنة الصادقة البليغة.

المبحث الثالث: الإصلاح بين الدعاة

من قواعد الشريعة، وأصول العقيدة، الحرص على جمع الكلمة، والسعي إلى الوحدة، وإزالة أسباب الشنآن والفرقة، وقطع شريان الجفوة وسوء العِشرة، وتلك مهام كبيرة، لايتصدى لها إلا ذوو العقول الراجحة، والأخلاق الفاضلة، والبصائر النيرة، ممن امتلأت جوانحهم بالرحمة، وازدانت بواطنهم بالسكينة، والرأفة، وتلك خلال أهل الإسلام وسيما أصحاب الإيمان، والله سبحانه (قد أكمل لنا ديننا، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام ديناً، وأمرنا أن نتبع صراطه المستقيم، ولانتبع السبل فتفرق بنا عن سبيله، وجعل لضده الوصية، خاتمة وصاياه العشر التي هي جوامع الشرائع، التي تضاهي الكلمات التي أنزلها الله على موسى عليه الصلاة والسلام، وأمرنا أن لانكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات، وأخبر أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء)[١٣٢].

والعمل الشاق، والجهد الثقيل لايمكن أن يحمل تبعاته فرد، أو فئة، وإنما تُوفر له أسباب التعاضد، وعناصر التعاون، للقيام بحقه، والوفاء بعبئه، والدعوة إلى الله، رسالة جامعة لأمهات الوظائف الكبرى، والأهداف العظمى، التي لايحملها قبيل دون قبيل، بل الكل مدعو لنشرها على قدرعلمه، وحسب طاقته، وكل من نزل إلى ساحة العمل، فلايعدم الوقوع في خطأ، أو قصور، أو صائر لا محالة في مؤاخذة، فتلك طبيعة العاملين وشِيمة الكادحين، وهنا تظهر رؤوس الخلافات، والتعارض بين تعدد الاجتهادات، فتبدو أطياف الفكر، بين مستدرك، أو لائم، أو مقترح، مما يفتح المجال بتدخل أطراف أخرى، ومضاعفة التراكمات، وسيل جرّار من الاستنتاجات، وبدلاً أن يكون ذلك ظاهرة صحية، لتبادل الآراء، وتلاقح الأفكار، والتشاور، وتبادل الخبرات، ينقلب عند بعض المسلمين إلى وسيلة لتوسيع الشقة، وتأزم الخلاف، ويومها تعظم الفتنة، وتحل النقمة، وتصبح الدعوة سوقاً نافقة لتبادل الاتهامات، وكيل الشتائم، وإقامة المحاور، والتحالفات، ويغدو الدعاة شَذَرَ مَذَر، وعندما يُقلِّب الناصحون النظر في الإصلاح، والتأمل في طرائق الوحدة والائتلاف، فمن مؤمّل في العلم، وقدرته على إلجام أصوات المخالفين، وإسكاتهم، ومن معوّل على الدعوة إلى الوحدة بمختلف الأساليب، وأنواع الوسائل، بينما يستشري الخلاف، وتتوسع دائرة الشّقة، والوحدة لم تزل حلماً بعيد المنال، ومع التسليم بأهمية العلم والوعي، وضرورة الدعوة إلى جمع الكلمة، ورصّ الصفوف، فإن من المهم قبل هذا وذاك، الاستناد إلى قواعد ثابتة، وأصول راسخة، تهيأ النفوس للصلح في كل حين، وتزيل عقبات الوحدة من العقول، وتقشع غمامات الشحناء من القلوب، وتشعر بخطورة الفرقة، واستحضار مخاطر التشرذم، وأحسب أن استبطان النية الصالحة، التي تحمل على طلب الحق، والتحلل من ربقة الأهواء، والتقليد، مطالب أساسية لتنقية الأجواء للمصالحة، وتهيئة النفوس

للتنازل عن حظوظها الذاتية، وزرع بذرة الفرح، والاستبشار باجتماع الكلمة، وبروز الدعاة المؤثرين، وكثرتهم، وانتفاء روح التحاسد، والتنكر لسفاسف الأخلاق، وظهور علامات الإخلاص (وإنما تعرف حقيقة ذلك بأمر وهو أن الواعظ المقبول، إذا كان يعظ لله لا يطلب القبول وقصده دعوة الخلق إلى الله، فعلامته لو جلس على مكانه واعظ أحسن منه لهجة، وتضاعف قبول الناس له بالنسبة إلى قبوله، فرح به وشكر الله على إسقاط هذا الفرض عنه بغيره، وبمن هو أقوم به منه)[١٣٣].

وكما قال الإمام الشافعي[١٣٤] : (وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم، على أن لا ينسب إليّ منه حرف)[١٣٥]، وقال: (ما ناظرت أحداً قط على الغلبة، ووددت إذا ناظرت أحداً أن يظهر الحق على يديه)[١٣٦].

تلك هي الصبغة المنهجية التي يمكن بسبيلها تضييق الخلاف، وإعطائه حجمه المناسب، ومساحته اللائقة، وتعطيل آلية التزيّد والمكابرة، وتضخيم الأخطاء، والمبالغة في تكرارها، وتأويلها، وإنهاء الحروب الكلامية بين الدعاة، ولو تحقق الإخلاص بين الدعاة في واقع الصف المسلم، لما كان هذا الشتات بين الدعاة، وتلك الفرقة بين أبناء الإسلام، علماً أن البناء واحد، والغاية، واحدة، والعدو واحد، ولكنه عبث الأهواء، والرغبة في الظهور، وإيثار المصالح، والخلافات الشخصية، وإحاطة ذلك كله بهالة من المبررات الشرعية، والشرع منها بريء، والاستعانة بالكتاب والسنة، وأقوال الأئمة وليها وتأويلها وحملها مالا تحتمل من الاجتهاد الفاسد، والقياس مع الفارق إن المخلص لا يمتنع أن يختلف مع غيره، بيد أنه يسعى إلى رأب الصدع، وجمع الشتات، وتقريب وجهات النظر، وإصلاح ذات البين، والقناعة المطلقة بقدرة المرجعية الشرعية على فض النزاع، ونزع فتيل الفتن، مهما كانت ضخامتها تحقيقاً لقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ

تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[١٣٧].فالآية الكريمة لم تنكر وقوع الاختلاف بين المسلمين، وإنما أمرت بالمسارعة إلى إنهائه فوراً بضرورة إلى التحاكم إلى الكتاب والسنة، لقطف ثمار الوحدة، وتحقيق الألفة، والقيام بحق الأخوة بين المسلمين، ولا يُقدم على ذلك إلا المخلصون ذوو النوايا الصالحة، والهمم الخيّرة، ولا مندوحة من الاعتراف بأثر النية السيئة في توسيع شُقّة الخلاف، بين أطراف بعض الاتجاهات الدعوية، حيث ساهمت الرسائل والأشرطة المذهبية والحملات الدعائية في تأجيج نار الفرقة، وتشكيل الآراء العجولة المغلَّفة بسوء الظن، وتحكيمها بروح تسيطر عليها العدوانية والحماس، ولا يخلو ذلك كله من تناقض المصالح وتصفية الحسابات الشخصية، والبحث عن مواقع تحت الأضواء الكاشفة، وآية ذلك ودليله، أن الباحث لم يسمع دعوة جادة لفض التنازع، وتوحيد الصفوف، على نحو يوازي الجهود المنهمكة في بث أسباب الفرقة والشتات، والتي ساعدت أعداء الدعوة على اختراق الصفوف، والتغلغل وسط الدعاة، إن ترويج روح التسامح، وحسن الظن، وارتداء مسوح الإخلاص والتدثر بجلباب العفو، ضرورة قصوى لكَبْح جماح النوايا الشريرة، وحَسْر موجات البغي والعدوان، ولا يخفى الحاجة الماسة إلى أرضية صلبة من النوايا الصالحة، تصلح لتكون قاعدة بنائية لمشروع الوحدة بين الدعاة إلى الله.

ولا يعني ذلك بحال السكوت عن الأخطاء والمخالفات الصادرة من هنا، أو هناك، إذ إن غض الطرف عنها مدعاة لتراكم الجهالات، واستحالتها إلى قناعات لا تقبل المماحكة، تفضي قطعاً إلى تمرد، وجنوح عن هدي الشرع الحنيف وقسطاطه المستقيم ونهجه القويم، إلا أن الخطأ لا يعالج بمثله، ولا يبرر المبالغة في رده، والتضخيم في صده، والخروج عن المنهج العلمي، والأدب الإسلامي، والدخول في معارك كلامية، وإقامة محاور حزبية، واحلاف طائفية، ولنا في أصحاب رسول الله ﷺ مثل وقدوة فقد اختلفوا في المسائل، وتنازعوا في النوازل، وردّ بعضهم على بعض، ولم

يحملهم ذلك على خيار التدابر والجنوح إلى التقاطع، والتهاجر، نظراً لخلوص نياتهم من حظوظ النفس، وطهارة مقاصدهم من الأهواء، ولوثات التعصب، وحرص التابعون لهم بإحسان على سلوك نهجهم، ولزوم غرزهم، فانتعشت النهضة العلمية، وظهرت المدارس الفقهية، وظهرت الاجتهادات البارعة، والإبداعات المتقنة، والاستنباطات الدقيقة، واستوعب اجتهادهم حاجات عصرهم، وتركوا من خلفهم ذخيرة فقهية، وثروة علمية، تعد من مفاخر الحضارة الإسلامية، ولم يُعرف عنهم التراشق في العبارات، والغمز في القدرات، والحكم على النيات، والاشتغال بتتبع العورات، والتماس العثرات، حتى أفضى الحال إلى توقف الاجتهاد، والركود العلمي، وظهور التعصب، والجمود، والانهماك في المحاورات العقيمة والردود السقيمة، ومن النماذج الفاضلة والقدوات الكريمة في ذلك النقاش الشيق، والحوار البناء بين الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة والإمام الليث بن سعد شيخ الديار المصرية وإمامها، حيث اتسمت تلك المساجلة العلمية بالأدب الجم، ازدانت بالسمو في التناول واصطبغت بالصدق، والإخلاص في التعامل، وأثبتت تلك الرسائل مدى عمق التجرد وكمال الإخلاص، والحرص على النصيحة، والإفادة، واستقبال ذلك بروح مستبشرة ونفس وثابة، تنشد الحق، وتشتد في طلبه، ولأهمية ذلك، أورد الرسالة وجوابها لالتماس العظة، ونشدان العبرة، واقتباس الحكمة، والسيرة الحميدة، فقد ورد في رسالة الإمام مالك ما نصه: (من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد سلام عليكم فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد ....

عصمنا الله وإياك بطاعته في السر والعلانية، وعافانا من كل مكروه، اعلم رحمك الله، أنه بلغني أنك تقضي الناس بأشياء مخالفة لما عليه أهل بلدنا، فإن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾(١٣٨). وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾(١٣٩). فإن الناس تبع لأهل المدينة، إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن، وأُحل الحلال، وحُرم الحرام، إذ رسول الله ﷺ بين أظهرهم، يحضرون الوحي والتنزيل، ويأمرهم فيطيعونه، ويُسن لهم فيتبعونه حتى توفاه الله، واختار له ما عنده صلوات الله وسلامه عليه ورحمته وبركاته.

ثم قام بعده، اتبع الناس له من أمته ممن ولي الأمر من بعده، مما نزل بهم مما عملوا أنفذوه، وما لم يكن عندهم فيه علم، سألوا عنه ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك في اجتهادهم وحداثة عهدهم، وإن خالفهم مخالف أو قال أمراً غيره أقوى منه، وأولى ترك قوله، وعمل بغيره، ثم كان التابعون من بعده يسلكون ذلك، ويتبعون تلك السنن، فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً معمولاً به، لم أر لأحد خلافه للذي في أيديهم من تلك الوراثة، التي لا يجوز لأحد انتحالها ولا أدعاؤها، ولو ذهب أهل الأمصار يقولون: هذا العمل الذي ببلدنا، وهذا الذي مضى عليه من مضى منا، لم يكونوا من ذلك على ثقة، و لم يكن لهم من ذلك الذي جاز لهم، فانظر رحمك الله، فيما كتبت به إليك إلا النصيحة لله تعالى وحده، والنظر لك، والظن بك، فأنزل كتابي هذا منزلته، فإنك إن فعلت تعلم أني لمن آلك نصحاً، وفقنا الله وإياك بطاعته وطاعة رسوله في كل أمر وعلى كل حال، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وكتب يوم الأحد لتسع مضين من صفر)*.

-وإنك واجد بين تضاعيف هذه الرسالة حجاجاً علمياً محضاً، على أحقية الأخذ بعمل أهل المدينة، وخلو الرسالة من أي إسفاف أو بذاءة أو تشنج مدعماً

بالأدلة والبراهين، طالباً الإمام مالك الأخذ بمذهبه في غير عنف ولا إذلال-

أما الرسالة الجوابية للإمام الليث بن سعد، فإنها تفيض رقة، وأدباً، وأريحية، وكرماً، مصوّباً رأي الإمام مالك، وشاكراً له نصحه، وبلطافة مأخذ، ولباقة أسلوب، يستدرك الإمام الليث ما يراه خطأ في رسالة الإمام مالك مورداً الأدلة والبراهين على عدم حجية العمل بعمل أهل المدينة ذاكراً عدة مسائل لعلماء أهل المدينة خالفوا فيها عمل أهل المدينة، ومما ورد في الرسالة الجوابية:

(سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد ...

عافانا الله وإياك، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة، قد بلغني كتابك تذكر فيه، من صلاح حالكم الذي يسرني، فأدام الله ذلك لكم، وأتمه بالعون على شكره، والزيادة من إحسانه، وذكرت نظرك في الكتب التي بعثت بها إليك، وإقامتك إياها، وختمك عليها بختمك، وقد أتتنا فجزاك الله عما قدمت خيراً، فإنها إلينا عنك، فأجبت أنه قد أنشطك ما كتبت إليك فيه من تقويم ما أتاني عنك إلى ابتدائي بالنصيحة، ورجوت أن يكون لها عندي موضع تحب، وما أجد أحداً ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا، ولا أشد تفضيلاً لعلماء المدينة الذين مضوا ولا آخذ لفتياهم فيما اتفقوا عليه مني والحمد لله رب العالمين لا شريك له)*.

وبعد هذه المقدمة اللطيفة والكلمات الندية الرقيقة، خلص الإمام الليث -رحمه الله- في رده، وشرع في جوابه في أدب جم، وحكمة بالغة بقوله:

(وأما ما ذكرت من مقام رسول الله ﷺ بالمدينة، ونزول القرآن بها عليه، بين ظهري أصحابه، وما علمهم الله منه، وأن الناس صاروا به تبعاً لهم فيه، فكما ذكرت من قول الله تعالى: ا وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ

خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[١٤٠]. فإن كثيراً من أولئك السابقين الأولين – خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله، ابتغاء مرضاة الله، فجندوا الأجناد، واجتمع إليهم الناس، فأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله، وسنة نبيه، ولم يكتموهم شيئاً علموه، وكان في كل جند منهم طائفة يعلمون كتاب الله، وسنة نبيه، ويجهدون برأيهم فيما لم يفسره لهم القرآن والسنة، وتقدمهم عليه أبو بكر، وعمر، وعثمان الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم، ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأجناد المسلمين، ولا غافلين عنهم، بل كانوا يكتبون في الأمر اليسير لإقامة الدين، والحذر من الاختلاف بكتاب الله، وسنة نبيه فلم يتركوا أمراً فسَّره القرآن، أو عمل فيه النبي ﷺ بمصر، والشام، والعراق على عهد أبي بكر، وعمر، وعثمان، ولم يزالوا عليه حتى قبضوا لم يأمروهم بغيره، فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين، أن يحدثوا اليوم أمراً لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم، مع أن أصحاب رسول الله ﷺ قد اختلفوا بعد في الفتيا في أشياء كثيرة، ولولا أني قد عرفت أن قد علمتها كتبت بها إليك، ثم اختلف التابعون في أشياء بعد أصحاب رسول الله ﷺ سعيد بن المسيب ونظراؤه أشد الاختلاف)* ولم يزل رحمه الله في جوابه على هذا المنوال الرفيع، ينثر ما في كنانته من الآداب، وما يزخر به مداد قلمه من الحكم البراهنية، والأدلة العلمية، ذاكراً حال العلماء في الاختلاف السائغ بما فيهم علماء المدينة الذين خالفوا علماء بلدهم ثم قال (وقد تركت أشياء من أشياء، هذا وأنا أحب توفيق الله إياك، وطول بقائك، لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة، وما أخاف من الضيعة، إذا ذهب مثلك مع استئناس بمكانك، وإن نأت الدار، فهذه مترلتك عندي، ورأيي فيك فاستيقنه ولا تترك الكتاب إليَّ بخبرك، وحال ولدك، وأهلك، وحاجة إن كانت لك، أو لأحد يوصل بك، فإني أسُر بذلك.

كتبت إليك ونحن صالحون معافون والحمد لله، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولانا، وتمام ما أنعم به علينا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)*[١٤١].

وإن التحليل الموضوعي لفحوى الرسالتين، يقضي بعمق العلاقة الودية بين الإمامين الجليلين، ومدى مُكنة الدراية العلمية، والأدبية لهاتين الوثيقتين النادرتين، التي تميط اللثام عن المستوى الفكري الرفيع، الذي تتسم به المذاكرات العلمية بين علماء سلفنا الصالح وما وصلت إليه من سمو في الهدف، ورقي في المعاطاة، وروعة في المعالجة، كان لها أكبر الأثر في إثراء الساحة العلمية، ونهوض الحركة الحضارية، بمختلف أطياف الاجتهاد المتكاملة، في لوحة علمية خالدة، ارتقت بمستوى الحياة الإسلامية، وتسنمت برتبة الأستاذية العالمية، الذي كان الاختلاف في الرأي عندهم علة للبناء الحضاري، وتوسيع دائرة البحث العلمي، ولم يكن سبباً في التشرذم، والشنآن، والقطيعة، والهجران، كما هو الحال في أوقات الإنحطاط الفكري، والتناحر الطائفي، هذا التناقض بين السلف والخلف، سببه وعلته في نظر الباحث يعود إلى عدة أسباب من أهمها: اهتمام السلف الصالح بفقه النية وتصحيحها، وحرصهم على استحضارها، وتطبيقها، بينما اشتغل المتأخرون بالظاهر وأهملوا فقه الباطن، ورتع بعضهم في مواطن الخرافة، وتجاوز الحد في الرعاية، مما وقع في مخالفة الشرع، واستعاض عن ضيائه بجهالة البدعة، وظلمتها، مما أوجد أزمة حقيقية في الساحة الإسلامية المعاصرة، قابلة للاشتعال بمجرد ظهور رأي جديد أو اجتهاد مغاير للمألوف، ولمزيد من الانشقاقات والفرقة تجري على سنن حظوظ النفس، والتشفي، والانتقام كما هو ظاهر الحروب الكلامية والطعون الحزبية، والطائفية المعاصرة، التي أوغلت في الخلاف، وفتنت بإشعال نار التناحر والتنابز، التي شحنت الصدور بالبغضاء، ولوثت الألسنة بالوقيعة في الأعراض، وافسدت الذمم بقلة المبالاة، وعدم الورع.

الفصل الثالث

أثر النية الصالحة في مفردات الدعوة الأخرى

من معايير الدقة، وآيات الاستقصاء، الإحاطة الشمولية، وتقديم وجهة النظر العلمية، على نحو مترابط متسق الأطراف، منسجم الأعضاء، يبرهن على مدى امتزاج مادة البحث بأجزائها، وكلياتها لبيان رؤية علمية واضحة بينة التقاسيم، ذات مسحة تجديدية قدر الإمكان، مؤطرة بالدليل، والبرهان، ويسعى الباحث على قدر بضاعته المزجاة أن يحيط بمكانة النية الصالحة، وأثرها في مفردات الدعوة، مكتفياً بالإيجاز، مؤثراً الاختصار لكي يخرج البحث في صورة متوازنة، تقدم خدمة علمية للباحثين، والمتخصصين في مجال الدعوة بالاستفادة منه، وتطويره وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: وسائل الدعوة.

من سمو المباديء والقيم الإسلامية، أنها تهتم بجذور العلاقات، وتوجيه القدرات للوصول إلى أعلى درجات الإتقان في الإدارة، والعمل، فالوسيلة في ظل تلك المعطيات تستنفد كامل طاقتها وأعلى مقياس أدائها، من أجل تحقيق الغايات المرجوة والأهداف المرسومة والوسائل في الشريعة الإسلامية (لها أحكام المقاصد، فما لايتم الواجب إلا به فهو واجب، ومالايتم المسنون، إلا به فهو مسنون، وطرق الحرام والمكروهات، تابعة لها ووسيلة المباح مباح)[١٤٢] وجليل غايات الدعوة، وسمو أهدافها يمنع استخدام الوسائل المحرمة والمكروهة، وذلك لكونها تأخذ حكم الغاية كما تقدم، كما قال جمهور العلماء (إن الوسيلة لو لم تكن مأموراً بها، لساغ للمكلف تركها، ولو ساغ له تركها لساغ له ترك الواجب، لتوقف الواجب عليها، ولو ساغ له ترك الواجب لم يكن واجباً)[١٤٣] والوسيلة في (الأصل: ما يتوصل به إلى الشيء، ويتقرب به، يقال: وسل الله وسيلة وتوسل)[١٤٤] وفي الاصطلاح: (ما يتوصل به إلى تحقيق الغاية) ولذا

فإن شرف غاية الدعوة وسمو مبادئها، يستلزم بذل المستطاع والممكن من الوسائل المباحة لنشرها وتمكينها، واتخاذ الهدي النبوي فيها هادياً، ومرشداً، بحيث تتحقق الأهداف المرسومة، والغايات المحددة، بأقل التكاليف، وأيسر السبل فإنه إذا (تعددت الوسائل إلى المقصد الواحد، فتعتبر الشريعة في التكليف بتحصيلها، أقوى تلك الوسائل، تحصيلاً للمقصد المتوسل إليه، بحيث يحصل كاملاً، راسخاً، عاجلاً، ميسوراً)[١٤٥] أما إذا تساوت في الإفضاء، وحسن الأداء إلى المقصد، فيتخير الداعية (في تحصيل بعضها دون الآخر، إذ الوسائل ليست مقصوداً لذاتها)[١٤٦] فساحات الوسيلة الدعوية التي تخب فيها، وتضع الواجبات، والمندوبات، والمباحات، وهذه الأخيرة لايفعل الداعية فيها (إلا مايستعين به على الطاعة)[١٤٧] فالوسائل المباحة رصيد مفتوح، ونبع لا ينضب، وكنز ثر إذا قصد بها (التقوي على الطاعات، أو التوصل إليها كانت عبادة كالأكل، والنوم، واكتساب المال)[١٤٨] وهذا يعود لتأثير النية الصالحة في فتح آفاق العمل الدعوي في أمن وغنية من الريب والشبهات من خلال توجيه الوسيلة، واستصلاحها، واستثمارها، ومصداق ذلك قوله عليه الصلاة والسلام (**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا أُجرت عليها، حتى ماتجعل في فِي امرأتك**)[١٤٩] فهذا الحديث صريح بأن (الإنفاق على العيال يثاب عليه، إذا قصد وجه الله صار طاعة، ويثاب عليه، إذا وضع اللقمة في فم امرأته، إنما يكون في العادة عند الملاعبة، والملاطفة، والتلذذ المباح، فهذا أبعد الأشياء عن الطاعة، مأجور في الآخرة ومع ذلك فقد أخبر الشارع بأن ذلك يؤجر عليه بالقصد الجميل، فغير هذه الحالة أولى بحصول الأجر، إذا قصد به وجه الله، ويؤخذ من ذلك أن الإنسان إذا فعل مباحاً من أكل وشرب وقصد به وجه الله، كالاستعانة بذلك على الطاعة، وبالنوم على قيام الليل يثاب عليه)[١٥٠]، فباب المباحات واسع جداً يمكن استثماره لخدمة الدعوة الإسلامية، بقيود الشرع، وضوابطه، التي من أهمها، استبطان النية الصالحة كما قال الإمام السيوطي: (ومن أحسن ما استدلوا به على أن العبد ينال أجراً بالنية الصالحة في

المباحات، والعادات قوله ﷺ (ولكل امرئ ما نوى) فهذه يثاب فاعلها، إذا قصد بها التقرب إلى الله، فإن لم يقصد ذلك فلا ثواب له)[١٥١]، فالوسيلة إذا استخدمت بنية الخير والإصلاح سبيل قوي للانفتاح على كل نافع ومفيد، من غير ضجيج، ولا فتنة، ولا شبهه، مما يؤدي حتماً إلى تقليص الفجوة الواسعة بين أهل الحق وأرباب الباطل، الذين استطاعوا استثمار معطيات العصر ومكتشفاته في نشر الرذيلة والفساد، في حال تقاعس، وتردد، وورع غير سديد من بعض الدعاة، أما الوسيلة المحرمة والمكروهة فغير وارد دخولها في وسائل الدعوة أصلاً، بيد أن للفقهاء ضوابط وقيود في اقتحام لجج الحرمة من أجل الضرورة، تقدر بقدرها، ولا يتوسع في دائرتها، ولا يتكلف في تأويلها من أجل جعلها وسائل دعوية على سبيل الإطلاق، ومما يجدر التنبيه عليه في هذا الصدد أن البدع المحدثة والضلالات المستحسنة غير مقبول استخدامها في وسائل الدعوة، وإن أغرت بظاهرها، وجذبت بخلابتها، وخدعت ببريقها كما قال الإمام ابن عقيل:[١٥٢] (قد سمعنا بعض العباد يقولون: أن الدعاء عند حدو الحادي (المحذة)[١٥٣] مجاب وذلك أنهم يعتقدون أنه قربة يتقرب بها إلى الله. قال: وهذا كفر، لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً)[١٥٤]، وينسجم هذا المأخذ العلمي مع صحة الاعتقاد، القائل بكمال الشريعة وغناها عن الاقتراح البشري في مجال العبادات والعقائد، فمن المحال أن تنقلب البدع إلى سنن، والمعاصي إلى طاعات، بمجرد النية الصالحة كما قال الإمام الغزالي:[١٥٥] (المعاصي لا تتغير عن موضعها بمجرد النية، فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنيات) فيظن أن المعصية تنقلب طاعة)[١٥٦] وبمزيد بيان فإن (الأفعال الشرعية ثلاثة: واجب، ومندوب، ومباح، والحرام، والمكروه، لايتقرب بهما إلى الله)[١٥٧] فالبدعة لاتصلح وسيلة للدعوة إلى الله، لكونها أخطر من المعصية، باعتبار ما تؤول إليه، من صرف الناس عن الدين الحق، الذي أتمه وأكمله الله كما قال جل وعز: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾[١٥٨]. واستجازة البدع افتئات على

مصادر التشريع، ينمّ عن بُهت، وتهمة، لنبي الرحمة، بعدم الوفاء بحق البلاغ، وإتمام الحجة، وتلك موبقات ليس لها راقع، يقول عمر بن عبدالعزيز: (سَنّ رسول الله ﷺ، وولاة الأمر من بعده سنناً، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من عمل بها فهو مهتد، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً)[١٥٩]، وإن النظر في مآلات الأفعال، وعواقبها معتبر شرعاً، سواء كانت الأفعال موافقة، أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأمور الاجتهادية بالجواز أو المنع إلا بعد فحص وتدبر لما يؤول إليه ذلك الأمر، والوسيلة الدعوية ذات صلة وطيدة بمقاصدها الشرعية مثل قاعدة؛ الأخذ بسد الذرائع، وإبطال الحيل، ودرء المفسدة، وجلب المصلحة، وانطلاقاً من هذه القواعد الراسخة، التي تأصلت على حِياض فقه النية الصالحة فإن الداعية مدعو إلى حذق قواعد الشريعة، وفقهها، على نحو يسمح بامتلاك ناحية الاختيار في استخدام الوسائل النافعة فإنه (كلما قويت الوسيلة في الأداء إلى المصلحة كان أجرها أعظم من أجر ما نقص عنها)[١٦٠]، وهذا أمر معلوم بالاستقراء من قواعد الشريعة التي تحرص على تحصيل المصالح ودرء المفاسد، وتحبيذ الوسائل الموصلة لذلك، فالارتباط بين الوسيلة والمقصد تحكمها النتيجة، والثمرة. والوسائل (تختلف باختلاف فضائل المقاصد، ومصالحها، فالوسيلة إلى أفضل المقاصد أفضل من سائر الوسائل)[١٦١].

ومسؤولية الداعية المسلم أن يتحرى مقصد الشارع في كل أعماله، ويختار ماهو الأصلح للدعوة، وإن خالف هواه، فقد (تتعدد الوسائل إلى المقصد الواحد فتعتبر في التكليف بتحصيلها أقوى تلك للمقصد المتوسل إليه، بحيث يحصل كاملاً راسخاً عاجلاً ميسوراً، فتقدم على وسيلة هي دونها في هذا التحصيل، وهذا مجال متسع، ظهر فيه مصداق نظر الشريعة إلى المصالح الإفضاء إلى المقصد، باعتبار أحواله كلها سوّت الشريعة في اعتبارها، وتخير المكلف في تحصيل بعضها دون الآخر، إذ الوسائل ليست

مقصودة لذاتها)[١٦٢] وبناء على ما تقدم فإن وسائل الدعوة تخضع في تأصيلها لمقاصد الشريعة (وحكمها لحكم ما أفضت إليه من تحريم، أو تحليل غير أنها أخفض مرتبة من المقاصد في حكمها)[١٦٣] فلا يتسامح في استخدام كل وسيلة بالنظر إلى الغاية، والنية فحسب، بل لابد من النظر في مشروعيتها، وما تحققه من المصالح، ودرء المفاسد، فإن كانت معارضة لمقاصد الشريعة أو مخالفة لأصل من أصولها، فترفض ولا كرامة إلا أن الباحث ينصح بالرجوع إلى أهل الاختصاص في الدعوة، والعقيدة، والأصول، والفقه، واللغة، والتاريخ والسياسة، كل في تخصصه قبل التسرع في قبول تلك الوسيلة أو رفضها، لوجود بعض المنازع العلمية الدقيقة التي لا يمكن لمتخصص بعينه الافتاء فيها، ولا يمكن أن تكون النية الصالحة شافعاً في قبولها فمثلاً نص العلماء على أنه (يغتفر في الوسائل مالا يغتفر في المقاصد)[١٦٤] ومفهوم هذه القاعدة أن التسامح وارد في بعض أحكام الوسائل، ولو بدا شيء في التنافر الظاهر بين الوسيلة ومقصدها، فمثلاً الكذب لإصلاح ذات البين وسيلة مشروعة لإصلاح ذات البين ودرء شرور القطيعة، والفتنة بين المسلمين، غير أنه ليس من السهل لغير المتخصصين تقدير ذلك التسامح، وضوابطه، وقيوده، لكون التوسع في هذا الموضوع تحت مظلة المصلحة مدخل وبي، وتمحل ممنوع، قد يفضي إلى إباحة الوسائل المبتدعة، التي يقصد أربابها التعبد بها أو التورط في استخدام بعض الوسائل دون استكمال شروطها الشرعية بمجرد لمح المصلحة بادي الرأي، أو الجرأة على التحريم والتجريم لكل وسيلة نافعة غير مألوفة، وتبديع فاعلها بمجرد الرأي، والباحث يناشد الدعاة في العالم الإسلامي بإخلاص النية لوجه الله، وتسخير وسائل العصر المتاحة، على نمط من الفاعلية، والإتقان، حيث أتيح لهم مالم يعرفه السابقون، من الوسائل النافعة التي تحقق طموحاتهم، بما لم تسعه أعمارهم.

المبحث الثاني: الأساليب

من دلالات الإحكام، وآيات الإتقان، الاهتمام بالترابط العضوي، والتمازج المعنوي، بين الأسلوب والوسيلة، بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر عند التطبيق، إذ يمكن من الناحية النظرية، تصور الفوارق وإدراك الحدود، وملاحظة الفواصل، إلا أنه عند التطبيق العملي يستحيل الفصل بينهما، والذهول عن هذه الحقيقة، أو جهلها أدى إلى كثير من التخليط والتناقض في بعض الطروحات الدعوية التي لم تتفطن لتلك الملاحظة العلمية الآنفة الذكر، وبمزيد بيان فإن تعريف الأسلوب، والوقوف على ماهيته، يطلعنا على الخلل الحاصل في هذا السبيل، فالأسلوب يطلق في اللغة على عدة معان، منها الفن، يقال: (أخذ فلان في أساليب القول أي: أفانين منه[١٦٥] كما يطلق على الطريق، والكيفية يقال سلكت أسلوب كذا: طريقته، ومذهبه، وأسلوب الكاتب: طريقته في كتابته)[١٦٦]، أما المعنى الاصطلاحي لدى الباحث (كيفية استخدام الوسيلة)[١٦٧] لأن الوسائل تبقى في محيطها ساكنة جامدة لا حراك فيها، حتى يباشرها الأسلوب، فيحركها ويبث فيها روح الحركة المتقنة، أو يؤثر فيها سلباً بتعطيلها أو إساءتها، بحسب نوعية الأسلوب، ولتوضيح ذلك، فقد تتعدد الوسيلة بين الدعاة في وقت واحد في موضوع بعينه ولكن عند التطبيق، فلكل داعية أسلوب، فمثلاً الخطابة وسيلة لتعليم الصدق والدعوة إلى الإخلاص، وعند التطبيق نجد لكل خطيب، ومتكلم طريقته، فهذا هو الأسلوب، وقِسْ على هذا في سائر تطبيق الوسائل، فلا يصح تفسير الوسيلة بالأسلوب، ولا الأسلوب بالوسيلة، لكن عند التطبيق العملي يمتزجا، حتى يخيل للناظر أنهما شيء واحد، ومن هنا حصل اللبس، والاختلاف في تعريف الوسيلة والأسلوب، وانطلاقاً مما تقدم يمكن ملاحظة أثر النية الصالحة في الأسلوب، التي تُعد العلاقة بينهما أقوى التصاقاً وأعظم امتزاجاً من الوسيلة، وفي الدراسات الأدبية يعد الخيال والعاطفة أحد عناصر الأسلوب الأساسية ولذلك فإن الوسيلة الدعوية تتأثر بالأسلوب من حيث الصدق والإخلاص، والتفاع،ل أو من حيث المعاملة، والتطبيق،

والحكمة في استخدام الوسيلة المناسب في الوقت المناسب أحد أعلام الأساليب البارزة، وكذلكم حسن الموعظة ورقتها وهدوؤها وجه من وجوه الأساليب المؤثرة، وقد يتطور الأمر إلى المماحكة، والحوار، وتقليب وجهات النظر، فإن إتقانه، وحسن إدارته على نحو متقن، يسمى بالجدل الممدوح الذي يروم نصرة الحق ورد الباطل، ويجمع ذلك كله قوله سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[١٦٨]. فهذه أمهات الأساليب الكبرى، وجميعها تفتقر بلا خلاف إلى النية الصالحة فالفصاحة والرسوخ العلمي وقوة العارضة وعمق التفكير عناصر أساسية للأسلوب الجيد، بيد أن النية الصالحة تضفي عليها جميعاً رونقاً من الجمال وكمالاً من الأداء، يزيل جميع كدورات القول، وعيوب الممارسات الكلامية، مثل الثقل النفسي والكلفة، والقسوة، والرياء، والتصنع، والكزازة التي يجدها المستمع من ذوي القدرات والطاقات المجردة من تقوى الله فإن (أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله ﷻ قد ألبسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه، وتقوى قائله)[١٦٩].

ومن الملاحظات العلمية المهمة أن الثمرات المأمول استفادها من الأساليب ترتبط بكمال النية الصالحة عند مباشرها، فليست العبرة بتوفر الوسائل، وغلاء ثمنها، وتعدد أصنافها، بل لابد من إتقان وأداء عال الجودة يتسم بها، فرب وسيلة محدودة الأثر رخيصة الثمن، يضخ فيها الأسلوب الحسن، القوة والطاقة والتأثير، فستنفذ قوها، وتؤدي دورها، وهذا ما نلمحه بوضوح في أساليب المخلصين، ودعوة الأتقياء المحسنين، فإنه لايُستفاد من وسيلة ما دام حب السمعة، وعشق الأضواء يسيطر على أسلوبها، مهما كانت التكاليف وضخامتها، إلا ما حددت لها تلك النوايا السيئة، وعلى النقيض من ذلك فإن الأساليب الممزوجة برحيق الإخلاص، ترسل أشعتها النورانية، وتأخذ أبعادها الإيمانية، وتبسط نفوذها الرباني، وتتسع دائرتها المباركة،

وتصل الكلمة إلى مستقرها من اللسان إلى الجنان، فتحدث تأثيرها في الهداية، واستمالة المدعوين فلا جدال أن الأسلوب الصادق بريد التأثير نحو الأفئدة، بفضل ما يصنعه من خصوبة المشاعر، وانتقائية الألفاظ ورواء العواطف وخصوبة الخيال، وبهذه الخاصية العزيزة تبدو معالم الوحدة الشعورية، ومسارب النغمة العاطفية مسحة خالدة على دعوات عباد الله المخلصين، فإنه كثيراً (ما راود بعض الناس في الماضي حلم لذيذ، وهو إيجاد محول يستطيع أن يحول المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة، وقد شغلت هذه الفكرة الناس في بعض العصور، وأخذت قسطاً وافراً من تفكيرهم وجهدهم، ولم يفطن كثير من الناس إلى أن النية هي المحول العجيب إلا أنها لا تحول الجماد إلى نوع من الجماد، ولكنها تحول الأعمال العادية التي تضمحل وتزول بمجرد الانتهاء إلى أعمال باقية خالدة)[١٧٠].

إن الدعوة إلى الله لن تبلغ مداها وتصل إلى منتهاها إلا إذا حُملت على جناحي الوسيلة المشروعة والأسلوب الحسن الفعال الذي يطفح الإخلاص، ويتدفق بالصدق، ومن المحال أن ينال ذلك الأسلوب تأثيراً ونجاحاً، ويصير واقعاً ملموساً بمجرد الطرح النظري، والتنطير الفكري المجرد من الإرادة الصادقة، والعزم الأكيد، وذلك لأن طريق تزكية النفس (اعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزكية الكاملة حتى إذا صار ذلك معتاداً بالتكرار مع تقارب الزمان، حدث منها للنفس هيئة راسخة تقتضي تلك الأفعال وتتقاضاها، بحيث يصر له بالعادة كالطبع فيخفف ما يستقله من الخير)[١٧١]، فبالإمكان الاستحواذ على معرفة الأسلوب المؤثر، وتطويعه في خدمة وسائل الدعوة، متى أدرك الدعاة أهمية النية الصالحة والتخلق بخلالها، وسماتها الجليلة وفق صبغة تربوية عملية تمتزج بدعوتهم، ومناهجهم.

المبحث الثالث: استمالة المدعو وإصلاحه

من سمات الإصلاح الفعال الحرص على نجاح برامجه، وتحقيق أهدافه المرسومة وغاياته المنظورة، ابتغاء هداية الناس وإرشادهم، وتلك غايات الرسالات السماوية، ولا يخفى أن (إرسال الأنبياء والرسل، وإنزال الشرائع هو إرشاد الخلق غاية صلاحهم وأداؤهم الواجب التكليف المفروض عليهم)[١٧٢] ويحتل العنصر البشري أحد أركان الدعوة الإسلامية المسمى بالمدعو، والذي يشمل أمة الدعوة، والإجابة، والتي تسعى الدعوة الإسلامية إلى هدايتهم، وتقويم أخلاقهم، وإصلاحهم رؤاهم، وتنمية أفكارهم، وتطوير حياتهم وإحداث تغيير جذري في سلوكهم نحو امتطاء جادة البر والتقوى، ولا يتصدى لتلك المهام الصعبة ولا يستحقها غير الدعوة الإسلامية التي حفّها الله بالعصمة، وخصّها بالكمال والحجة وأفردها سبحانه وتعالى بالرضا والقبول دون سائر الدعوات وإدراك الدعاة لهذه الحقيقة واستلهامها يُملي عليهم واجبات عظام، ومسؤوليات جسام، لا تقف عند كلمة تقال أو حديث يُذاع، بل تلزم بذل الجهد، والطاقة، وإظهار، الحرقة والغيرة وبيان منتهى الرأفة والرحمة، والتفاعل الصادق مع أدبيات الدعوة، ومفرداتها حتى تبلغ الدعوة مداها وتصل إلى منتهاها، فإن الدعوة إذا قدمت باهتة، ومن روح الحدب، والحرص خالية كان وقعها في (نفس المتلقي أضعف وأعجز، وهذا ينافي مفهوم البلاغ المبين الوارد في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾[١٧٣]. ولا يلزم من ذلك الكفالة بهداية التوفيق والإلهام، فذلك من خصوصيات الرب سبحانه، يسبغها على من يشاء من عباده، وفق حكمته البالغة، وعلمه المحيط، وإنما المقصود إيصال الحجة الكاملة في قالب من الأسلوب الرفيع، والوسيلة الفعالة، لا تدع لمتأول شبهة ولا لمكابر ثغرة في تكرار دائم وإلحاح لا ينقطع، يزيل العوائق الصادة، ويهيئ البيئة الناجحة لبذرة الهداية، وتنميتها وحمايتها من الحشائش الشيطانية، اقتداء بالرسل عليهم السلام الذين أفرغوا طاقتهم في البذل، والعطاء من غير مَنٍّ ولا إذلال، ولنا في رسول الله ﷺ ، الذي بلغ به الحدب والحرص

على الدعوة، حتى عاتبه الله ﷻ على شدة مايجد في نفسه من صد وصلف وعناد من معارضي الدعوة كما في قوله سبحانه: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣ ﴾[١٧٤] وقال سبحانه: ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ ﴾[١٧٥] وهذه الآيات الكريمة لم تنه النبي ﷺ عن الحرص على هداية المشركين، بقدر ما هي تعزية وتسلية لرسول الله ﷺ ، لتخفيف وطأة المعاناة البالغة، الناتجة من صدود المشركين، والداعية مطالب بالترقي لتلك الدرجات العالية، التي لايمكن الوصول إليها بمجرد إطلاق الكلمة من غير متابعة، وإغفال حوافز التأثير الأخرى لدى المدعو، ومن أهمها: تهيئته لاستقبال خطاب الدعوة، وإقناعه بالسماع المشفوع بالنوايا الحسنة، لعقد صلة وثيقة بين قلبه وخطاب الدعوة، حيث يمكن التوصل إلى توسيع تلك الدائرة لتشمل الجوارح في المستقبل، بالتركيز على الإيمان كما قال سبحانه: ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ ﴾[١٧٦]، فإذا عُمر القلب بالإيمان انفتحت أساريره، وتحللت قيوده، وانكسرت أقفاله، وشعّ نور الإيمان في أنحائه وجوانحه، فإذا أحسنت البداية باستدراج المدعو إلى حياض الإيمان، تعرض حتماً لنفحات الهداية، ونسمات التوفيق، مما يرفع عنه كثيراً من المعاناة، وعبء النفس المثقلة بالنوازع المادية، والشهوات الحيوانية، ليجد شعاع الهداية قبساً نورانياً يحرق تراكمات التمزق، وشتات الأفكار فيقبل على التكاليف الشرعية بنفس رضية، وروح مستبشرة من غير تلكأ، ولا كبوة، ولاتردد، ولانبوة، تستحيل إلى متعة، ولذة عذبة المذاق، جميلة الرونق، ضافية الرواق، يستظل بظلها الوارف في أمن غامر، وسعادة وافية كما قال النبي ﷺ : (**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا**)[١٧٧] فلا عجب أن تنطلق فواتح الهداية من مغارس النية الصالحة، ومنابتها، كما نلمح إغداق الثناء، وسابغ المدح، والجزاء لمن سبقت نواياهم الحسنة أعمالهم، فجزاهم الله بالنية الحسنة ما لم يكافئوه بأعمالهم يقول النبي ﷺ : (**من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**)[١٧٨] وتلك منازل سامقة لاتنال إلا بمن اكتملت لديه سمات الهداية ومخايل

الاستقامة، وذلك بإصلاح النية، التي ينال صاحبها منازل السابقين فضلاً عن حسن الأحدوثة، وعظيم المثوبة، وفضل العاقبة، وهذا في حد ذاته تحفيز على العمل وترغيب في الآخرة، ودون تكليف بكبير عمل، وهنا تظهر عبقرية الداعية، وحنكته باتباع أسلوب التدرج لاستمالة المدعو إلى منابع الهداية بسبيل تحسين النية ابتداء ليجد مغبتها هداية، وصلاحاً، ورحمة، وفلاحاً، فينقل بعدها إلى الخطوة الثانية المتمثلة في عرض المكاسب المترتبة على الإخلاص، وتلمس شواهده، وآثاره في التغييرات، والتصورات، والسلوكيات الجديدة، التي حدثت له من قريب، وضرورة استحضارها عند مباشرة التكاليف الشرعية، في حدود القدرة، والأيد، بعيداً عن التعسير والكَبَد، المصاحب للمبتدئين الذين عادة، مايعيشون عالم المثالية والخيال والعواطف الجياشة، والتي يمثل هدوئها، وخفاقها نقطة خطر تنقلب إلى سآمة وملل تنتهي ببعضهم إلى التحلل من منظومة الهداية، والعودة إلى سيرته الأولى، بيد أن تعليم المدعو أن إعمال النية، واستصحابها لايتوقف عند حدود مباشرة العمل. بل ينال ثوابه ولو لم يؤديه، وفي الحديث: (**إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ماكان يعمله وهو صحيح مقيم**)(١٧٩) وهذا الحديث حافز على التركيز، والاتقان والتخلق بالرفق، والتؤدة، واكتساب الخبرة الفائقة والدراية العالية، في خلق الفرص الجيدة وايجاد المناخ المناسب لتنمية بذرة الهداية وترسيخ شجرتها، فإن من أسباب نكوص الكثيرين عن حياض الهداية، يعود إلى سوء النية، والحنين إلى حياة الغفلة، وعدم التخلص من آثارها الماضية والتخوف من أوهام ضغط التكاليف الشرعية، وما يترتب على ذلك كما يزعم من حرمانه من التمتع بلذائذ الحياة ومباهجها المزعومة، وإنما الحقيقة هي: الانصياع لعُرام الشهوات، التي لم تزاحم بالنوايا الصالحة، فبقيت كالنار تحت الرماد، تحملهم على القهقرى، والتذبذب والتي تصل ذروتها إلى ارتكاس عن الهداية، بما يبرهن على أن علتهم خلل حقيقي في النية الباطنة، ويتحمل بعض الدعاة التبعة، نظراً لاكتفائهم بإصلاح الظاهر، والقناعة بمجرد استدرار عاطفة المدعو، وموافقته، دون تعاهد مستمر

لإصلاح عقيدته، وتقويم فكره، وتهذيب روحه، وحينئذ تظهر الهنات، وتبدو العورات، ثم لا يلبث أن يتحلل من الهداية، عند أول اختبار بفتنة، أو ابتلاء بشهوة، بينما الاهتمام بإصلاح النية يفتح مغاليق القلوب ويقطع دابر التصورات الخاطئة، والمفاهيم المعوجة، ويسد ثغرات ذلك الخلل، ويردم فجوتها، ويعيد الانتعاش من جديد لسوق الهداية ورفع مؤشر الاستقامة، حين يعلم المدعو أنه يبلغ بحسن نيته مالا يبلغه بكده، وجهده، وفي الحديث: (**إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم وهم بالمدينة حبسهم المرض**)(١٨٠).

فجلب اهتمام المدعو إلى أعمال القلوب والعناية بها، قمن أن يستحيل إلى اكتشاف جديد، يغير حياته نحو الأفضل، وإشعال فتيل الهداية بتأصيل، ورسوخ بكلمة التوحيد في قلبه كما قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾(١٨١). فهذا الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية (مثال هاد إلى عالم القدس، وحضرة الجلال وسرادقات الكبرياء الإلهية، وإنما مثّل الله سبحانه الإيمان بالشجرة، لأن الشجرة لا تستحق أن تسمى شجرة، إلا بثلاثة أشياء، عرق راسخ، وأصل قائم، وأغصان عالية، كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة: معرفة القلب وقول اللسان وعمل بالأبدان)(١٨٢).

فإدارة مشروع الهداية، وعرضه على المدعوين، يستلزم حنكة، ودراية تامة، من خلال لفت نظر المدعو إلى أهمية أسرار النية الصالحة في نفسه، وتوطينها في قلبه، وتوجيهه بفقه وعلم، إلى تلمس ثمراتها العاجلة، المتمثلة في ترياق السكينة، وبلسم الطمأنينة، وصيِّب السعادة النفسية التي يجدها كل مؤمن أقبل بجمعيته على الله، حيث يدرك حقيقة الحياة الدنيا، وأنها إلى زوال، واضمحلال (لأن كل أمل ظفرت فعقباه حزن، إما بذهابه عنك وإما بذهابك عنه، ولابد من أحد هذين السبيلين، إلا العمل

للآخرة فعقباها، على كل حال سرور في عاجل، وآجل، أما في العاجل فقلة الهم بما لايهتم به الناس، وإنك به معظم من الصديق والعدو، وأما في الآجل فالجنة)[١٨٣] ولا تكتمل حلقة العرض الجذاب إلا إذا قُرِع أذن المدعو فواقر الخطاب، المترتب على إهمال النية الصالحة، من أجل أن تلامس مشاعره بالتخويف، وتحريك وجدانه بالتهديد، وإحداث يقظة جذرية في تصوره وتوظيف جميع مظاهر غريزة الخوف، لدفع المدعو إلى التفكير الجاد في مسيرة حياته، ومحاسبة تصرفاته، وهذا يعتمد على ما في قلبه من نية حسنة ومدى قوة علاقتها بجوارحه الظاهرة، التي تعتبر صلاحها من عدمه، مقياساً صادقاً لأثر النية الصالحة، مما يلزم تعزيزها للوصول إلى التأثير الثابت بالسبل التالية:

المطلب الأول: التحذير من حياة التمزق والشقاء.

من مطالب الإنسان الأساسية السعي إلى تحصيل أسباب الرخاء وامتلاك عناصر الهناء، والتقلب في أعطاف النعيم، وعادة ما تنتابه مخاوف حقيقية من فقدها، وخاصة عند ظهور مؤشرات تهددها، كالمرض، والهرم، وتكالب الديون، والمشاكل الاجتماعية الأخرى، ومهمة الداعية امتطاء غريزة الخوف لدى المدعو، واتخاذها وسيلة لمخاطبة مشاعره ووجدانه، حيث يتجلى جانب الصدق في الحوار، والتفاعل مع واقع المعاناة، ومن ثم يسهل استدراجه إلى الهداية، حيث يدرك ماهية المخاوف الحقيقية وتقويمها الموضوعي المتناغم مع سلامة النية، وحسن الطّوية، فإن العبَّ من سُعار الشهوة، والإكثار من سكرة المتعة دون تقنين شرعي، سبب لخروج إرادة المدعو عن نطاق السيطرة، والإمعان في مهيع الضلالة، مما يجعل المادة قبلته، وغايته، ليبقى في لهاث دائم، فسرعان ما يصاب بالكظة والحَبَط، ومن ثم الدوران في حلقة مفرغة من التيه في المجهول، والانتظام في تعاريج الظلام ودهاليز الحرمان تنتهي إلى حياة ملؤها الضيق المضني، والضنك من العيش المردي كما قال سبحانه: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ

أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾(١٨٤). وهذا وصف بليغ لحال من استحوذت عليه محبة الدنيا من غير بصيرة، ولا هدى (فإن له عيشة ضيقة شديدة، لما يكون فيه القلق والحرص على الدنيا والتهالك على ازديادها والخوف من انتقاصها، فترى الشح غالباً عليه والبخل راسخاً في أعراقه، وقصارى ذلك، أن الله عز اسمه جعل لمن اتبع هداه، وتمسك بدينه، العيش الذي لاهم فيه ولا غم، وجعل لمن أعرض عن دينه، التعب والنصب، وهو في الآخرة أشد تعباً، وأعظم ضيقاً، وأكثر ألماً)(١٨٥)، إن تذكير المدعو بهذه الأعراض الْمَرَضية لداء الضلالة برهان مقنع للتفكير الجاد في مكاسب الهداية، خاصة إذا عرف أنه لن يفقد شيئاً من رغائبه، ومتعه السوية بسببها، والنجاة في الوقت ذاته من الهموم والوساوس، والمخاوف التي تعظم، وتشتد بقدر فساد النية، وخبثها، وآية ذلك تسكع القلب وتيهه، وضياعه في مسارب العبودية لغير الله، فيصاب على إثر ذلك بانشطارية وتمزق يحول دون تذوق طعم الهداية كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾(١٨٦). فذلك جزاء من أدبر عن معرفة الحق، ورغب عنه، فهو موعود بهذا العقاب النفسي الشديد (لأنه في نفوره عن الإسلام، وثقله عليه بمنزلة من تكلف الصعود إلى السماء فكما أن ذلك التكليف ثقيل على القلب، فكذلك الإيمان ثقيل على قلب الكافر)(١٨٧).

وكذلك فإنه بفساد النية تظهر المتاعب، ويدخل صاحبها في نفق مظلم حصاده المعاناة الطويلة بين مطرقة الخذلان، وسندان الشقاء، وفي الحديث: (من كان همه الآخرة، جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا نيته، فرّق الله عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له)(١٨٨).

المطلب الثاني: حبوط العمل وخيبة الأمل

ليس من شك أن كل عامل معنيٌّ، ومتطلع إلى نيل ثمرة جهده، وعاقبة عملـــه، وجده، وإذا اكتشف أنه لم يخرج من ذلك بكبير فائدة، انقلب على عقبيه بالحـــسرة، وعاد على نفسه بالعتاب، شاكياً حظه العاثر، ونادباً نصيبه المغبون، فيصاب عنـــدها بالاكتئاب، والتقلب في ألوان العذاب، وتستبين هذه المعاناة الصعبة، بوضوح أكـــبر، وندامة أشد، وحسرة أعمق، يوم تنكشف صحائف الأعمال، وتعرف حقيقة النتائج، والآمال، حينئذ يتبدى لذوي النوايا السيئة مغبة غفلتهم، وسفور ظلمـــة خبيئتـــهم، ويدور محور الحسرة في الغالب الأعم على عوار النية، وخوارمها، حين تظهر سوءتها، وتستبين قوادحها، ومن أخطرها في عرف الشريعة الشرك في النوايـــا، والهبـــوط في المقاصد، وفي الحديث: (**أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، من عمل عملاً أشـــرك فيـــه غيري تركته وشركه**)[١٨٩] وهذا الخطاب نذير صدق، ووعيد حق، يستلزم مصارحة الذات، وخلع جلباب الرياء، ونبذ مسوح التكلف، والتصنع، والـــشروع في محاســـبة النفس، وتخليص النية من شوائب الشرك، وتلك سمات صاحب النية الطيبة لأنـــه (في عبادته هو الذي يخلصها من شوائب الرياء، وذلك لا يتأتى إلا بأن يكون الباعث لـــه على عملها قصد التقرب إلى الله تعالى، وابتغاء ما عنده، غير ذلـــك مـــن أعـــراض الدنيا)[١٩٠]، ومتى استشعر المدعو أهمية تصفية النية وخطورة إهمالها، حمله ذلك علـــى ركوب مطية البحث الجاد والعمل المضني، والسعي اللاحب، واستنفاد الوسع، وبذل الطاقة حتى التوقل للرتبة النفيسة، والتسور إلى منزلة الإخلاص المحض، والـــدخول إلى ساحة الهداية، من أوسع أبوابها، وأوضح سبلها، وتلك سيما الجادين وشيمة المهتدين، الذين لا يخدعون بالظاهر، ولا تستهويهم المظاهر، ولا يلوون على شيء من المغريات العارضة.

فإن يقظة جوانحهم، وسلامة أفئدتهم قادتهم إلى إخبات، وطمأنينة في خلـــوتهم قبل جلوتهم، لإدراكهم عواقب فساد النية، الذي ولدَّ لديهم وعي بما هو كائن، كيف سيكون، كما علموا من فقه الشريعة، مما استيقظ على وقعها القلب الخامد، والضمير الجامد (فعندما تبدو الحياة التلقائية غير كافية، تشعر بتوتر، أو بقلق يـــؤلم الـــضمير، كرقيب بعمل باسم القيم، وكسلطة، تـــدعو لاحتـــرام المثـــل والخـــير والمقاصـــد الشريفة)(١٩١)، وتلك عاقبة حميدة لصلاح النيـــات، تـــستلزم أن يـــصيرها الـــدعاة استراتيجية منهجية لاستمالة المدعوين، وهدايتهم.

المطلب الثالث: العقاب في الآخرة

ليس ثمة مؤثر في الوجود، يزيل قسوة القلوب، وينير الأفئدة بعد موتها، بأعظم من الإيمان، الذي يبعث الحياة في القلوب الميتة، بعد أمد طويل من الخمود، انتفت فيها عناصر الانفعال الوجداني، وتعطلت فيها أجهزة الاستقبال لمعرفة الحق، غير أن عمارة القلوب بالإيمان بالله، وباليوم الآخر يعيد كشف الحسابات، ومراجعة الذات، وســـط طوفان من الندم الطافح والحسرة الغامرة تصل إلى حـــد الإدانـــة المباشـــرة لأفعالـــه وتصرفاته، ابتداءً بمفاسد النية التي تعد محضن الشرك، الذي لا يخالط اعتقاداً صـــحيحاً إلا أخرجه من صبغة العبودية إلى لوثة الوثنية، وإن كان عملاً مسخ رونقـــه ونـــزع بركته، وإن كان قولاً كدّر مساقه، وشوه بيانه، وبدا سمجاً ثقيلاً سماعه كريهاً استقباله (فهو كلية الرذائل ومعمل الموبقات، ومعصية لا تجدي معها طاعة ومنقصة لا يجـــزي منها كمال، وضعه، لا يقوم منها عز، وسفه لا ترشد به نفس)(١٩٢) فلا يؤمل لمشرك رحمة، ولا تقال له عثرة إلا أن يتوب، فتذكير المدعو بهذا المصير كما في قوله تعـــالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾(١٩٣). وهو خطاب محكم لا نسخ فيه، حيث أطبقت عليه جميع رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والـــسلام والعلة في ذلك، أن الشرك منشأ الضلال، وعلة الذنوب، ومن ينبوعه الآسن، تقطـــر

عفونة الذنوب، وقاذورات المعاصي، ولا يقبله ذوق سليم، ولا منطق حكيم (ولعلك لا تجد في عيوب النفس ونقائص الإنسان، ما يضاهي الشرك في امتطاء طبع المتدين له، وخفاء مساربه إلى نفسه، ودفاع المتأولين عنه، فكان لزاماً على من يهتم لسعادته في الدار الباقية أن يعترف بحاجته الشديدة إلى معرفة الشرك ومظاهره، وأن يعتني كل الاعتناء بالبحث عن كل ذريعة إلى هذا الداء لتنقيته أيما إنقاء، فلا يسري إلى جناية ولا يعلق بلسانه، ولا يظهر على شيء بين أركانه، وكان من آيات الرشد النضوج، وأحصى مظاهر نصحه، أن يجعل أولى ما يتقدم به إلى العامة، وأول ما يقرع به أسماعهم: التحذير من الشرك ومظاهره)[١٩٤]، ولا تخفى علاقة تلك الموبقات بفساد النية، وعلى حواشيها تنبت عروقها الوبائية، وتنتشر أوبئتها الفتاكة.

المبحث الرابع: الرد على أعداء الدعوة

غالباً ماتجري سنن الصراع الفكري، على مضمار الشبهات وميدان المناظرات، حيث يحرص أرباب الباطل ودهاقنة الضلال، على التعلق بكل شبهة وإن وهنت، والتحذلق بالحجة وإن سقطت، للنيل من الحق وأهله، يدفعهم حقد دفين، وأمل بالنصر المبين، بيد أن الحق لايُعدم من أنصار، ولا يجبن من حوار، لكون نجاحه حقيقية محتومة، وانتصاره نهاية محسومة، متى حمله أهله بحقه، وأولوه قدره، ووزنه، بفقه موفور، وجهد مشكور، ولاسيما حال الرد على أعداء الدعوة، الذين طعنوا في الشرعية عن عمد، وتكلفوا في سبيلها الصد، وتفوهوا بإلصاق التهم الجزاف، وأطلقوا عليها العبارات الإنشائية المغلّفة بالكذب، المتدثرة بالمكر السافر، كالطعن في الحدود الشريعة ووصمها وتسميتها بالوحشية، وما قذفت به ألسنتهم، ورقمت أقلامهم، دليل على ما تخفيه قلوبهم وماتكنه نفوسهم من نوايا سيئة ضد الإسلام، وقد لقيت تلك المقاصد السيئة، والأكاذيب الماكرة، آذاناً صاغية، وصدى في أوساط بعض المسلمين،

فنُحيت الشريعة عن عمد، وحكمت القوانين الوضعية، وتجاوزت طموحات أعداء الدعوة إلى تطبيع الحياة في العالم الإسلامي، بالانحلال الخلقي، والفساد الإداري، والتخلف الاقتصادي، والتناحر السياسي، والانهزام العسكري، ولامناص من كشف تلك النوايا السيئة، التي تمثل الركيزة الأساسية لتلك المفتريات والأكاذيب وفضحها، اعتماداً على نقيضها، انطلاقاً من التأمل بدقة، وعمق في فقه النية الصالحة، وعلاقتها بمقاصد الشريعة الإسلامية التي تشتمل على (المعاني، والحكم الملحوظة، للشارع في جميع أحوال التشريع، أو معظمها، بحيث لاتختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة الإسلامية، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا تخلو التشريع من ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضاً معان من الحكم، ليست ملحوظة في سائر الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها)(١٩٥) وخطة الشريعة قائمة على إصلاح الظاهر، ابتناءً على إصلاح الباطن، الدائر على ركن النية الصالحة، ومن لم يستطع عقد صلة بين أحكام الشريعة ومقاصدها، فمن المحال فهمها على الوجه الشرعي المقبول، ومهمة الداعية المسلم المعاصر، لاتقف عند حدود بيان الشريعة، بل يتعدى إلى بيان حكمها، واستنباط عللها، متتبعاً طرق استخراجها، من أجل اقتناص مزيد من الحجج، والأدلة والبراهين، وإيقاف الموافقين والمناوئين على أسرار الشريعة (والقرآن وسنة رسول الله ﷺ مملؤان من تعليل الأحكام بالحكم والمصالح، والتنبيه على وجود تلك الأعيان، ولو كان هذا في القرآن والسنة في نحو مائة موضع، أو مائتين لسقناها، ولكن يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة)(١٩٦) ولايخفى أن من لوازم البلاغ –إقامة الحجة، وملاحظة إشاراتها، ومقاصدها الظاهرة والخفية لإذابة العقلية الجامدة وزحزحتها عن مسلك العناد، وفتح باب التأمل، والتدبر في مقاصد الشرع الحنيف، ومن ثم إلجام الخصوم بالدليل المقنع، حتى لايبقى لديهم، مايتزيوا به سوى

العناد، وركوب مطية اللجاج، بما يصدق على حقيقة نواياهم السيئة (فالعالم المرتاض، بما جاءنا من الشارع الذي بعثه تعالى متمماً لمكارم الأخلاق، إذا جعل غايـــة همـــه، وأقصى رغبته جلب المصالح الدينية للعباد، ودفع الفاسد عنهم، كان من أنفع دعـــاة المسلمين، وأنجح الحاملين لحجج رب العالمين)[١٩٧] فتوجيه العقل البشري إلى النظر في مقاصد الشريعة وعدالتها، مدعاة لدفع الشبهات التي تلوكها ألسنة أعـــداء الـــدعوة بتكلف وصلف، وفي ذلك قطع السبيل، أما المناوئين للدعوة، وترشيد للفكر البشري، واستدراجه بحكمة، نحو قراءة رشيدة وفاحصة لمقاصد الشريعة التي (جاءت بتحـــصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد، وتقليلها، وأنها ترجح خير الخيرين، وتمنـــع شـــر الشرين، وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما)[١٩٨] وثمة معيار آخـــر كاشـــف لمآرب النية الصالحة واتصالها بالمقاصد الشرعية، من خلال الاحتفاء البالغ بمبدأ ســـد الذرائع، الذي يستبق المفاسد قبل وقوعها، من أجل حماية الجنس البـــشري، فكـــراً، وخلقاً، وممارسة لتحقيق استتباب الأمن، وزرع الطمأنينة، وتوطين السكينة، وحمايـــة الحقوق، وصيانة الحرمات، فالله سبحانه (ماشرع أحكامه إلا بتحقيق مقاصدها مـــن جلب المصالح، ودرء المفاسد، فإذا أصبحت أحكامه، تستعمل لغير ماشـــرُعت لـــه، ويتوسل بها، إلى خلاف مقاصدها الحقيقية، فإن الشرع لايقر إفساد أحكامه، وتعطيل مقاصده، ولايجوز لأهل الشريعة، أن يقفوا مكتوفي الأيدي، أمـــام هـــذا التحريـــف للأحكام عن مقاصدها بدعوى عدم مخالفة ظواهرها رسومها)[١٩٩] فلا تدع المقاصد الشريعة فرصة لأحد، في توظيفها لخدمة نواياه المنحرفة، مهما حاول تغليفها في قالب الدعاية، وذلك برهان آخر للمتفرسين، والباحثين المحايدين علـــى براءاتهـــا، وجليـــل نزاهتها، وحرصها المتظافر على المحافظة على الضرورات الخمس، حسماً لمادة الفساد، والفوضى، التي تهدد مسيرة الحياة الإنسانية برمتها، فقد (اتفقت الأمة بل سائر الملـــل

على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضرورات الخمس وهي: الدين، والــنفس، والنسل، والمال، والعقل، وعلمها عند الأمة بالضروري، ولم يثبت لنا ذلــك بــدليل معين، ولا يشهد أصل معين، يمتاز برجوعها إليه، بل ملاءمتها للشريعة بمجموعها أدلة لا تنحصر في باب واحد)[٢٠٠] وهذا ما تحاول النوايا السيئة أن تخفيه، وتتجاهلــه في مطارح البحث، والنظر، رغم وضوحه، واستبانته، فإن الشريعة الحكيمــة وضــعت جزاءات روعي فيها، قصد المحافظة على حقوق الناس عموماً، وترجيح كفة المــصالح الكلية، وعدم إهمال المصالح الجزئية في توازن، واعتدال، يهدف إلى معاقبة كــل مــن تسول له نفسه تعكير أمن الأفراد، والمجتمعات، والأمم على وجه سواء، فرجُح مقصد الردع، والعقوبة المنضبطة، من أجل تأمين حياة الإنسان في عمارة الأرض، وتــشييد دعائم الحضارة في أمن وارف وطمأنينة سابغة، وهذا من رحمة الله سبحانه ومنّه على عباده إذ (كان من بعض حكمته ورحمته، أن شرع العقوبات في الجنايات الواقعة بين الناس، بعضهم على بعض، في النفوس، والأبدان، والأعراض، والأمــوال كالقتــل، والجراح، والقذف، والسرقة فاحكم سبحانه وجوه الزجر الرادعة عن هذه الجنايــات غاية الإحكام، وشرعها على أكمل الوجوه المتضمنة بمصلحة الردع، فلم يشرع من في الكذب قطع اللسان ولا القتل، ولا في الزنا الخصاء، ولا في السرقة إعدام النفس، وإنما شرع لهم في ذلك وهو موجب أسمائه وصفاته ورحمته، ولطفه، وإحــسانه، وعدلــه، لتزول النوائب وتنقطع الأطماع عن التظالم والعدوان ويقتنع كل إنسان، بما آتاه مالكه وخالقه، فلايطمع في استلاب غيره حقه)[٢٠١] لكن أعداء الدعوة يلــوون أعنــاقهم ويزمون أنوفهم عن الاعتراف بهذه الحقائق، ويصرون على التمحل بكل سبيل، لتأصيل نواياهم الشاذة، في اجتثاث كلمة الله الخالدة، ورسالته العادلة، متناسين عــن عمــد الثمرات اليانعة في تحقيق الأمن للإنسان على أوسع نطاق، بينما تلتقي نواياهم السيئة

مع نوايا المجرمين، ونسيان ضحاياهم، إن قتل نفس واحدة، بحق وعدل، تصان به دماء أمة، خير من توفير بيئة يعشعش فيها الإجرام، وتمتد فيها يداه إلى كل مقدس، باستهتار وفوضى، تصل إلى حد المجادلة عن المجرمين والرأفة بهم، وليس من شك أن سوء الظن في أحكام الشريعة المطهرة، مبني على عدة عوامل تاريخية وثقافية وواقعية، شكلت جميعها، مفهوماً مضاداً للحدود الشرعية، وتطبيقها، والدعوة إليها، ومن ذلك مارسخ في العقلية الأوروبية، من عقوبات قاسية، طبقت بتعسف وظلم إبان العصور الوسطى من قبل رجال الكنيسة، وتداخلها بقضايا أخرى، لا صلة لها بالإجرام، مثل معاقبة العلماء ومصادرة الحريات الفكرية، مما ولّد ردة فعل شديدة، لدى مفكري عصر النهضة في أوروبا، فظهرت الدعاوى المتوارثة عبر الأجيال، المعارضة لعقوبات الإعدام، مهما كانت المسوغات ولاتزال الدعوى قائمة حتى الآن. وكذلك فإن الفكر الإباحي في الغرب لايمكن أن يستسيغ إقامة حدي الزنا وعمل قوم لوط بأي حال، وهو الذي شرّع ذلك، ونافح عنه، كما أن كثيراً من المصالح الاستعمارية، تتعارض تماماً مع اعتزاز الأمة بإسلامها وتطبيقها لأحكام الشرع، وهذا في حد ذاته، يعتبر في نظرهم تمرد، وخروج على هيمنة المستعمر، وقطع لجذوره الفكرية، والعقدية، والسلوكية، وبتحكيم الشريعة، تنتفي التبعية للغرب، وتصبح العلاقة بين الغرب والمسلمين، علاقة تنافسية وندية، وليست علاقة القوي والضعيف، والغالب والمغلوب، والسادة والعبيد، والمعارضون لتلك العقوبات في الغالب، دول ومنظمات غربية، تستغل شعاراتها المعلنة، للتدخل في شؤون الأمم، والدول الأخرى.

باسم حقوق الإنسان، ونشر الديمقراطية، وتحت مظلتها الباهتة، تفرض مشاريعها الإمبريالية والصهيونية، وتمثل الخصم، والحكم، وبانتقائية، وازدواجية المعايير، والكيل بمكيالين، توجه ضغوطها على العالم الإسلامي بغية صرفه عن التفكير

في تطبيق الشريعة الإسلامية، وهدم ماكان قائماً فعلاً، وبذلك يتبين أن النوايا السيئة، والمخططات الخفية، تقف وراء تلك المعارضة وهذا لايعني تبرئة بعض المسلمين من ذلك، إذ إن تقديم الإسلام للمسلمين، والعالم، بأنه قطع للرؤوس، والأيدي، ورجم بالحجارة، مجرداً من وجهه الحضاري المشرق، ونظامه التشريعي المتقن، وعدم انعكاسه على البيئة الإسلامية، بالعدالة والحرية السوية، والنظام وامتلاك أسباب الحضارة، والتقدم، والمشاركة بفاعلية في حل مشاكل العالم المعاصر، كل ذلك ساعد على تقديم الإسلام بهذه الصورة الجزئية، كما هو الحال في بعض الولايات النيجيرية المسلمة، التي تعج بالفقر، والرشوة، والبطالة والتخلف، فاختارت إقامة الحدود حلاً لمشاكلها، ولم ينتبهوا إلى أن الإسلام منهج عقدي ومسلك تربوي، وبناء حضاري، أكبر من يحاصر في بعض أجزائه، ويختزل في مساحة ضيقة، ولا يمكن أن تخرس ألسنة أعداء الدعوة، وتُكبت نواياهم، إلا إذا أظهر الإسلام، برونقه الجميل، وشكله الجذاب، وتطبيقه بصبغه شمولية، وعندها تظهر الحدود الشرعية، كإحدى دلالات كماله، وآيات جماله، وضمانات أمانه، فليس من مصلحة الدعوة في شيء، أن يصور الإسلام على أنه شرطي عابس الوجه، مقطب الجبين، يحمل عصا حديدية، يخبط بها من غير فقه، ولا بصيرة، وليس هذا –معاذ الله – تهوين، أو تقليل من شأن الحدود الشرعية، أو الاستهزاء بها، أو تعليق تطبيقها بشروط خيالية، لايقرها فقه الشريعة، بقدر ما هو تنويه بأهمية تحقيق مقاصد الشريعة في الدعوة إلى الإسلام، إزاء الحملات الدعائية، وكشف مايعتمل في نفوس أعداء الإسلام من نوايا، ومقاصد شريرة، فلا مناص من تطبيق مقاصد الشريعة واقعاً ملموساً، ترمقه الأعين بإعجاب، ويستحوذ على الأفئدة بالحجة، وفصل الخطاب، بحيث يدرك المعاند خطئه، ويلحظ الجاحد استكباره، مع ضرورة قيام منظمات حقوقية إسلامية، وغير مسيّسة، تصدر آراءها بحرية وعدالة وانضباط لمواجهة، المنظمات الغربية، ذات الصلة بالتوجهات الصليبية، والصهيونية، والتي غدت تهدد كيان العالم الإسلامي برمته، وتتدخل في شؤونه، بغطرسة وصلف

غير محدود، بدت نذرها الحقيقية بعيد أحداث (١١) سبتمبر الخطيرة، الـتي صُـيرت مشروعاً استثمارياً ضخماً لمحاربة الإسلام، وتخفيف منابعه، من خلال المطالبة بتغـيير المناهج، وإطلاق معاقد حرية المرأة بما يضمن إفسادها وتحجيم دور المنظمات الإغاثية، ومصادرة أموالها، ورصد حركة الدعوة الإسلامية، والتزيد على نشاطاتها، مما يملي على الدعاة المعاصرين، مضاعفة الجهد، والطاقة في الرد على أعداء الدعوة، وإحباط نواياهم الخطيرة، من خلال تعظيم شأن المقاصد الشرعية، وبيان أثرها في كبح جماح الجريمـة، ومحاصرتها، وتعمير الأفئدة بالإيمان، واستبطانها بالإحسان، بما يعـصم النفـوس مـن التهوك في الآثام والموبقات العظام كما قـال سـبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾(٢٠٢).

فربط المناهي الواردة في الآية الكريمة، يقمع النوايا السيئة في مهادها، ويطفـئ مشاعرها العدوانية، من حنايا الصدور قبل أوارها، وتقوية نفوذ النوايا الطيبة، ورفـع أسهمها، وإن تفعيل قاعدة سد الذرائع في العلاقات الإنسانية، مثل النهي عـن بيـع السلاح في الفتنة، والنهي عن المناجاة بين اثنين دون الثالث غيرها، جميعها ضـمانات لتوطين الأمن والسلامة للبشرية، فإن الله جل شأنه إذا حرم (شيئاً وله طرق ووسـائل تفضي إليه، فإنه يحرمها، ويمنع منها، تحقيقاً لتحريمه، وتثبيتاً له ومنعاً مـن أن يقـرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقـضاً للتحـريم، وإغـراء للنفوس به، وحكمته تعالى، وعلمه يأبى ذلك كل الإباء، بل سياسة ملوك الدنيا تـأبى ذلك، فإن أحدهم إذا منع جنده، أو رعيته، أو أهل بيته من شيء ثم أباح لهم الطـرق والأسباب والذرائع الموصلة، يعد متناقضاً، ويتحصل من رعيته، وجنده ضد مقصوده، وكذلك الأطباء، إذا أرادوا حسم الداء، منعوا صاحبه من الطرق، والذرائع الموصـلة إليه، والأخذ عليهم مايرمون إصلاحه، فما الظن بهذه الشريعة الكاملة التي هي في أعلى

درجات الحكمة، والمصلحة، والكمال!!

ومن مصادرها، علم أن الله ورسوله سدا الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمها ونهى عنها)[٢٠٣] وهكذا تتوارد مقاصد الشريعة، وقواعدها على صياغة نفسية المسلم وتهذيب خلقه وبناء شخصيته لتكون خيرة مسالمة، بعيدة عن سمات القسوة، والإجرام، أما من تمرد واعتدى، بعد مااستبان له البرهان، ولج في الخطيئة، والعصيان، فإن الحد الشرعي مصيره المحتم، إلا أن يعفو الولي، ويتحلى الفاعل بالندم مع كفالة الشريعة للجاني، محاكمة عادلة، وهذا من تمام حكمته تعالى (ورحمته أنه لم يأخذ الجناة بغير حجة كما لم يعذبهم في الآخرة بها إما منهم بالإقرار، أو مايقوم مقامه، وأما أن يكون الحجة من خارج عنهم، وهي البينة، واشترط العدالة، وعدم التهمة، فلا أحسن في العقول والنظر في ذلك، ولو طلب منها الاقتراح لم تقترح أحسن من ذلك، ولا أوفق منه للمصلحة)[٢٠٤].

كما لاتقبل الشريعة التعسف في استخدام حق القصاص بالتعدي والبغي والعدوان كماهو حال الجاهلية الأولى، وفي ذات الوقت لاتهدر حق المجني عليه كماهو حال المجتمعات المنصرفة عن شرع الله، حيث نلمح المجتمعات (من الشرق والغرب معاً، تبدي اهتماماً كبيراً بالمجرمين، والمنحرفين، واللصوص، والقتلة، والشاذين والمدمنين إلى آخره بينما لاتبدي هذه المجتمعات اهتماماً مماثلاً أو حتى بعض الاهتمام لضحايا هؤلاء المجرمين المنحرفين، فعندما يقوم مجرم بمهاجمة منزل، وقتل بعض من فيه، أو يسرق نقوداً يبددها على المخدرات، فإن رجال الشرطة، وعلماء النفس، والمجتمع، وكل أدوات الضبط الخبائي، تولي هذا المجرم اهتماماً كبيراً، وتدور الأبحاث حول الأسباب التي دعته لارتكاب جريمته، وهل ذلك يعود إلى طفولة غير سعيدة؟! أو لأنه عاطل عن العمل؟! أو لأنه يعاني من تخلف عقلي، أو اضطرابات عصبية !! إلى آخره،

أي أن سيادة المجرم يحظى بالاهتمام الأوفى من المجتمع، بينما لا يلقى الضحية أو الضحايا أي اهتمام!! بل إن هذا المجرم الأثيم يجد من يدافع عنه، لأنه مسكين، وضحية لتربية خاطئة، أو ظروف صعبة، وقد يحكم عليه بالسجن أو الإيداع في أحد المصحات النفسية، فيما يكون الضحية قد فقد حياته[٢٠٥].

وبهذا يتبين تهافت دعاوى أعداء الدعوة، وزيف شبهاتهم، وافتقارهم لجميع صفات الصدق والإنصاف، ووقوفهم برعونة وصلف إلى جانب المجرمين، وإهمالهم حقوق ضحايا المجرمين، والمظلومين بأعذار واهية، وشبه ساقطة، لاتقف أمام عمق حكمة المقاصد الشرعية، الدقيقة المبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد، وبهذا المساق العلمي، والبيان الدعوي، تنكشف نوايا المعارضين للشريعة ومايعتمل في قلوبهم، من خلل ودغل، لايلتقي في صدر، ولا ورد مع صفاء المقاصد الشرعية ونزاهة البحث، وحيادية المناولة، والحكم الصائب.

فضلاً عن الواقع المشاهد في المجتمعات الغربية، ومن سار على نهجها حيث تعج بالإجرام، وتئن من الرعب، والخوف، رغم كثرة الإجراءات الاحترازية، والقوانين العقابية، مما يدل أن الحاجة إلى الشريعة الإسلامية ضرورة شرعية، وحاجة بشرية.



الخاتمة

بفضل الله ومنِّه، تمت كتابة هذا البحث الموجز، الـذي طـوَّف في المنـاحي الدعوية، فاستبان للباحث من خلاله ما يلي:

١-ضرورة توطيد العلاقة بين تحسين النية، والعمل الدعوي عامة نظراً لأثر النية الصالحة، في إشادة البناء، وترسيخ عوامل النجاح المأمول الذي يرجوه الدعاة إلى الله، ابتداءً بأسس الدعوة وقواعدها، التي يعد إجلاء أثر النية الصالحة فيها، حسنة تفـضي على منهجية الدعوة برونق الكمال، ودثار الجمال، حيث يتبدى للناظر جلياً، بـراءة الدعوة الإسلامية من الأهواء، وتنكبها للأهداف المشبوهة، والغايات الملتوية، مما يعين الداعية على إشهارها دليلاً على أحقيتها في الاعتناق واستاذيتها في الهداية والإشفاق، فالنية الصالحة ترتبط بأسس الدعوة، بشرائط الصحة، وعلائق الكمـال، إذ لا مجـال للمشاعر والعواطف الإنسانية في التحلل من لوازمها وآدابها وتبعاتها، بـل عليهـا أن تتكيف معها وفق الضوابط الشرعية، لتخرج الأسس الدعوية متجـسدة في لبـوس الكمال الممكن.

٢-لا يقف أثر النية الصالحة عند هذا الحد، بل يتصل أثرها إلى حياة الداعيـة وسلوكه ونشاطه، الذي تظهر عليه حتماً باليمن والبركة في جهده والقبول والنجـاح في مسعاه بسبب تأثيرها المباشر في تصحيح المسار وتوجيه القصد ووضوح الرؤيـة، والانعتاق من آفات الطريق وعوار المقاصد، التي تقعد عادة بغير المخلصين،

٣-المؤكد أن الداعية الذي جرَّد نيته من الأهواء وهذَّبها من حظـوظ الـنفس الدنية، لن يكون بحال وسيلة لتأجيج الخلافات وتضخيمها أو مطية لاختراق الـدعاة وتفريق صفهم وبعثرة جهدهم، بما يقر أعين أعداء الملة، بل العكس من ذلك، تـراه منهمكاً في رص الصفوف وجمع الكلمة وإصلاح البين، وإعطاء الخـلاف حجمـه الحقيقي ومعالجة الخطأ ورده بلا جلبة ولا ضوضاء ولا بحث عن الأضواء،

٤-وحين تصطبغ وسائل الدعاة وأساليبهم بالنية الصالحة، فإنها تخرج من طور النمطية والتقليد إلى قالب الأصالة والتجديد، بروح جديدة تنشد النجاح وتلح في طلب الفاعلية، تنتهي إلى تمازج كامل لا نفور فيه بين الأسلوب والوسيلة والغاية، مما يكون صداه استجابة تنعكس على نفسية المدعو وعقله ومشاعره بالقبول والانصياع السوي والتطبيق المتأبط لإشواق الروح وقناعة الفكر من غير كبوة ولا بنوة، وتلك علة نجاح دعوات المخلصين وسر قبول جهود الصادقين، الذين بارك الله سبحانه وتعالى جهودهم وعمّ بنفعهم وأبقى أثرهم عبر القرون.

٥-بدراسة فقه النية الصالحة يصبح من اليسير على الدعاة، القدرة الفائقة والبراعة الكاملة على رد شبه أعداء الإسلام، وكشف مقاصدهم الحقيقية، وبيان محاسن الشريعة الإسلامية وعدالتها المطلقة وحكمتها البالغة، إتكاء على توضيح مقاصد الشريعة وعلاقتها بفقه النية الصالحة التي تسرى في مواردها ومصادرها بشمولية كاملة، تجسدت عملياً في محافظتها على الضرورات الخمس وصيانة حرمات الناس وعنايتها بدرء المفاسد وجلب المصالح، بتعليل يقبله العقل السليم، وإفصاح صريح لحكمها لا يملك المنصفون من الاحتفاء به وتقريره، مما يسوق المعارضين لإحكام الشريعة وحدودها، في معزل من سمات العقلاء، بل هم إلى جنب المجرمين وحمايتهم ونصرتهم أقرب قبيلاً، ومسؤولية الدعاة في تجلية علل الشريعة وحكمها المرتبطة بفقه النية ضرورية لا غنى عنها بحال من الأحوال، فإن (معرفة باعث الشرع ومصلحة الحكم استمالة للقلوب إلى الطمأنينة والقبول بالطبع والمسارعة إلى التصديق، فإن النفوس إلى قبول الأحكام المعقولة الجارية على ذوق المصالح أصيل، منها إلى قهر التحكم ومرارة التعبد، ولمثل هذا الغرض، استحب الوعظ وذكر محاسن الشريعة ولطائف معانيها، وكون المصلحة مطابقة للنص، وعلى قدر حذقه يزيدها حسناً

وتأكيداً)[٢٠٦].

وهذا ما حمل الباحث على استقراء مفردات الدعوة، وتتبع أثر النية الصالحة فيها بلبوس الإيجاز وصبغة الاختصار، على قدر بضاعته المزجاة، فإن وفق وأصاب فمن الله وحده، وإن كانت الأخرى فجناية القصور وضعف الآلة واستبطان الكلالة، سائلاً المولى ﷻ أن يجعله زلفى متقبلة وأن ينفع به سائر المسلمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *

الهوامش والتعليقات

(١) سورة النساء آية ٥٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج٥ ص٣٦٦ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٥ ص١٣٢ والقاموس المحيط للفيروز آبادي ج٤ ص٤٠٠.

(٣) هو حمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي الحافظ المحدث، له مصنفات نافعة منها معالم السنن، وغريب الحديث، وشرح البخاري، والعزلة توفي سنة ٣٨٨هـ انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ج٣ ص١٠١٨.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ج١ ص ٢٦.

(٥) هو محمد بن أبي بكر بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي الإمام المفسر الأصولي شمس الدين أبو عبدالله ابن قيم الجوزية لازم شيخ الإسلام ابن تيمية وأخذ عنه، له مصنفات كثيرة، منها زاد المعاد، وإعلام الموقعين، وبدائع الفوائد، وإغاثة اللهفان وغيرها، انظر ترجمته في الذيل على طبقات الحنابلة ج٢ ص ٤٤٧ لابن رجب.

(٦) بدائع الفوائد لابن القيم ج١ ص٢٢٧.

(٧) هو الحارث بن أسد المحاسبي البصري الواعظ أبو عبدالله ولد سنة ١٣٠هـ في البصرة من كتبه آداب النفوس، والبعث والنشور، رسالة المسترشدين، توفي في بغداد سنة ٢٤٣هـ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب لابن حجر ج٢ ص١٣٤-١٣٦.

(٨) بدائع الفوائد لابن القيم ج٣ ص ١٨٩. وسيأتي تخريجه بتمامه عند رقم (١٨) في الهامش.

(٩) هذا التعريف من لدن الباحث أورده اتساقاً مع موضوع البحث وعنوانه.

(١٠) سورة الإخلاص.

(١١) سورة البينة، الآية ٥.

(١٢) سورة غافر، الآية ٦٥.

(١٣) سورة الأعراف آية ٢٩.

(١٤) سورة الزمر آية ١١.

(١٥) سورة الإسراء آية ١٩.

(١٦) سورة الإسراء آية ١٨.

(١٧) سورة آل عمران آية ٨٥.

(١٨) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي رقم ١ ج١ ص١٣، وفي الإيمان باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى رقم ٥٤ ج١ ص٥٤ وفي العتق باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق رقم ٢٥٢٩ ج١ ص٢١٦ وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة رقم ٣٨٩٨ ج٣ ص٦٧ وفي النكاح باب من هاجر أو عمل خيراً لتزويج امرأة فله ما نوى رقم ٥٠٧٠ ج٣ ص٣٥٤-٣٥٥ وفي الإيمان والنذور باب النية في الإيمان رقم ٦٦٨٩ ج٤ ص٢٢٧ وفي الحيل باب في ترك الحيل وإن لكل امرئ ما نوى رقم ٦٩٥٣ ج٤ ص٢٨٨، ومسلم في الإمارة باب قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنيات) رقم ١٩٠٧ ج٣ ص١٥١٥-١٥١٦ وأبو داود في الطلاق باب فيما عني به الطلاق والنيات رقم ٢٢٠١ ج٢ ص ٦٥١-٦٥٢ والترمذي في فضائل الجهاد باب فيمن جاء يقاتل رياءً وللدنيا رقم ١٦٤٧ ص ٦٨٨ والنسائي باب في النية في الوضوء ج١ ص ٥٨-٥٩ وابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب النية ج٢ ص١٤١٣ رقم ٤٢٢٧ عن عمر بن الخطاب ﷺ.

(١٩) سورة الرعد جزء من آية ٧.

(٢٠) رواه البخاري في الشهادات باب من أقام البينة بعد اليمين رقم ٢٦٨٠ ج٢ ص٢٦١ وفي المظالم باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه رقم ٢٤٥٨ ج٢ص١٩٤ وفي الحيل باب إذا غصب الجارية فزعم أنها ماتت فقضى بقيمة الجارية الميتة، ثم وجدها صاحبها فهي له ويرد القيمة ولا تكون القيمة ثمناً رقم ٦٩٦٧ ج٤ ص٢٩١ وفي الأحكام باب موعظة الإمام للخصوم رقم ٧١٦٩ج٤ ص ٣٣٥ ومسلم في الأقضية باب الحكم بالظاهر واللحن في الحجة رقم ١٧١٣ ج٣ ص١٣٣٧ والموطأ في الأقضية باب الترغيب في القضاء بالحق رقم ١ ص٤٤٨ وأبو داود باب قضاء القاضي إذا أخطأ رقم ٣٥٨٣-٣٥٨٤ ج٤ ص١٢-١٣ عن أم سلمة رضي الله عنها.

(٢١) سورة محمد جزء من الآية ٣٦.

(٢٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ج١ ص ٧.

(٢٣) الفتاوى لابن تيمية ج١٨ ص ٢٤٩.

(٢٤) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ج٢ ص ٧٠٦-٧٠٧.

(٢٥) إعلام الموقعين لابن القيم ج٣ ص ١٤٥.

(٢٦) رواه البخاري في النكاح باب لايخطب أحدكم على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع رقم ٥١٤٢ ج٣ ص٣٧٣ وفي الأدب باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر رقم ٦٠٦٦ ج٤ ص١٠٣-١٠٤ وفي الفرائض باب تعلم الفرائض رقم ٦٧٢٤ ج٤ ص ٢٣٥ ومسلم في البر والصلة باب تحريم الظن والتجسس والتنافس رقم ٢٥٦٣ ج ص عن أبي هريرة ﷺ .

(٢٧) هو عبدالله بن قيس بن سليم بن حصار بن حرب الأشعري مشهور بكنيته صحابي جليل، كان حسن الصوت بالقرآن استعمله عمر ﷺ على البصرة توفي ﷺ سن ٤٢ وقيل ٤٤هـ الإصابة لابن حجر ج٢ ص٣٥٩ والاستيعاب لابن عبدالبر ج٣ ص ٩٧٩-٩٨١.

(٢٨) رواه البخاري في الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا رقم ٢٨١٠ ج٢ ص٣٠٩ وفي فرض الخمس باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره رقم ٣١٢٦ ج٣ ص٣٩٥ وفي العلم باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً رقم ١٢٣ ج١ ص ٦١ وفي التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.رقم ١٩٠٤ ج٣ ص١٥١٢-١٥١٣ والترمذي في فضائل الجهاد باب فيمن يقاتل رياءً وللدنيا رقم ١٦٤٦ ص٦٨٨ وأبو داود في الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا رقم ٢٥١٧ ج٣ ص٣١ وابن ماجة في الجهاد باب النية في القتال رقم ٢٧٨٣ ج٢ ص ٩٣١.

(٢٩) التفكير المقصدي (رؤية في إطار معرفة الوحي) عمر عبيد حسنة ص ٩.

(٣٠) ضرار بن عمرو بن مالك سيد بني ضبة وهو أبو الحصين بن ضرار أحد قتلى وقعة الجمل انظر ترجمته في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٣١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ج٢ ص٧١٠.

(٣٢) رواه مسلم في الإمارة باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر رقم ١٩١١ ج٣ ص١٥١٨ عن جابر ﷺ .

(٣٣) رواه البخاري في الجهاد باب من حبسه العذر عن الغزو رقم ٢٨٣٩ ج٢ ص٣١٦ وفي المغازي باب نزول النبي ﷺ الحِجر رقم ٤٤١٩ ج٣ ص١٨٠ وأبو داود في الجهاد باب الرخصة في القعود من العذر رقم ٢٥٠٨ ج٣ ص٢٥ عن أنس ﷺ .

(٣٤) الطبراني في المعجم الكبير ج٦ ص٣٢٨-٣٢٩ رقم الحديث ٥٩٤٢، ورواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس ﷺ مرفوعاً وله شواهد ذكرها السخاوي في المقاصد الحسنة ثم قال: (وإن كانت ضعيفة، بمجموعها يتقوى الحديث) انظر المقاصد الحسنة ص٤٥٠.

(٣٥) رواه البخاري في الرقاق باب من همّ بحسنة أو سيئة رقم ٦٤٩١ ج٤ ص١٨٩ ومسلم في الإيمان باب إذا همّ العبد بحسنة كتبت وإذا همّ بالسيئة لم تُكتب رقم ١٣٠-١٣١ ج١ ص١١٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣٦) هو عبدالرحمن بن مهدي بن حسان البصري من أصحاب الحديث قال الشافعي: (لا أعرف له نظيراً) ولد بالبصرة سنة ١٢٥هـ وتوفي سنة١٦٨هـ انظر ترجمته في طبقات الحفاظ للسيوطي ١٣٩.

(٣٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ج١ ص٤٤.

(٣٨) هو محمد بن أدريس بن العباس بن عثمان بن شافع المطلبي القرشي الإمام المشهور صاحب المذهب والمناقب الكثيرة يقول الإمام أحمد (ما أحد من أصحاب الحديث حمل محبرة إلا للشافعي عليه منّة) من مؤلفاته الرسالة في أصول الفقه – الأم – اختلاف الحديث توفي سنة ٢٠٤هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٠ ص٥-٩٩.

(٣٩) فتح الباري لابن حجر ج١ ص١١.

(٤٠) إرشاد الساري للقسطلاني ج١ ص٥٦.

(٤١) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن عمرو بن عمران أبو داود السجستاني ولد سنة ٢٠٢هـ أحد أئمة الحديث الراحلين إلى الآفاق في طلبه، حتى قيل: (ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود عليه السلام الحديد) توفي ٢٧٥هـ انظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ج١١ ص٥٥ وطبقات الشافعية للأسنوي ج٢ ص٢٩٣.

(٤٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٨.

(٤٣) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى اليحصبي المالكي أبو الفضل المحدث المفسر الفقيه اشتهر بلقب (القاضي) من مؤلفاته الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، انظر ترجمته في الديباج المذهب ج٢ ص٤٦-٥١ وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٢٠ ص٢١٢.

(٤٤) المجموع للنووي ج١ ص٣٦١.

(٤٥) هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي المحدث الفقيه اللغوي، من كتبه الأموال – فضائل القرآن، الغريب المصنف في غريب الحديث ولد سنة ١٥٧هـ وتوفي سنة ٢٢٤هـ انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ج٢ ص٤١٧.

(٤٦) المجموع للنووي ج١ ص ٢٨-٣١.

(٤٧) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي النووي الفقيه الشافعي الحافظ من مؤلفاته المجموع وروضة الطالبين والمنهاج والأذكار وغيرها من المؤلفات المباركة توفي رحمه الله سنة ٦٧٦هـ انظر ترجمته في طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ج٢ ص١٥٣.

(٤٨) المجموع للنووي ج١ ص٢٨.

(٤٩) هو عبدالله بن سعد أبي جمرة الأندلسي المالكي المحدث من مؤلفاته (جمع النهاية) اختصر صحيح البخاري وبهجة المجالس في شرح المختصر توفي بمصر سنة ٦٩٥هـ انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج٢ ص٢١١.

(٥٠) المدخل لابن الحاج ج١ ص٣.

(٥١) هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبدالله الثوري الإمام المجتهد شيخ الإسلام سيد العلماء والعاملين في زمانه أبو عبدالله الثوري مصنف الجامع توفي سنة ١٦١هـ وقيل سنة ١٦٢هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج٧ ص٢٢٩-٢٨٠.

(٥٢) إحياء علوم الدين للغزالي ٣٦٤/٤.

(٥٣) المصدر السابق ج٤ ص٣٦٤.

(٥٤) هو عبدالله بن المبارك بن واضح أبو عبدالرحمن الحنظلي أحد أعلام الإسلام الكبار، ارتحل في طلب العلم كثيراً، وحدث بأماكن وصنف المؤلفات النافعة ومناقبه وفضائله كثيرة، توفي سنة ١٨١هـ انظر ترجمته في تهذيب التهذيب لابن حجر ج٥ ص٣٨٢-٣٨٣.

(٥٥) إحياء علوم الدين للغزالي ج٤ ص٣٦٤.

(٥٦) هو يحيى بن صالح الطائي بالولاء، يكنى أبو نصر بن أبي بكر، وقيل دينار أقام بالمدينة عشر سنين، يأخذ من أعيان التابعين وسكن اليمامة ابتلي في عهد بني أمية (بالضرب والحبس)، محدث ثقة توفي سنة ١٢٩هـ الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٥٥٥.

(٥٧) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ١٣.

(٥٨) هو أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن بن عبدالله الصنهاجي المالكي، كان إماماً في الفقه والأصول له مصنفات كثيرة، منها؛ الفروق وشرح المحصول توفي سنة ٦٨٤هـ، انظر ترجمته في الديباج المذهب لابن فرحون ج١ ص٢٣٦.

(٥٩) هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني الدمشقي شيخ الإسلام أبو العباس الإمام المجتهد صاحب التصانيف الكثيرة، منها الإيمان، ومنهاج السنة، ودرء تعارض العقل والنقل توفي سنة ٧٢٨هـ انظر ترجمته في الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ج٢ ص٣٨٧.

(٦٠) هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان الخضيري الأصل، المصري الشافعي، أحد الأئمة الكبار، له مؤلفات في سائر الفنون، منها الأشباه والنظائر في القواعد الفقهية والدرر المنثور في التفسير بالمأثور، والإتقان في علوم القرآن، والجامع الصغير توفي سنة ٩١١هـ انظر ترجمته في البدر الطالع للشوكاني ج١ ص٣٢٨.

(٦١) بدائع الفوائد لابن القيم ج٢ ص٢٢٩-٢٣٤.

(٦٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج٤ ص٨٦، المصباح المنير للفيومي ص٤٢١.

(٦٣) هذا التعريف من بنات أفكار الباحث.

(٦٤) نواقض الإيمان القولية والعملية للدكتور عبدالعزيز العبد اللطيف ص١٣.

(٦٥) هو يوسف بن عمر بن عبدالبر بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري الحافظ شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها في وقته، وأحفظ من كان فيها للسُنة، من مؤلفاته التمهيد، والاستذكار توفي رحمه الله سنة ٤٦٣هـ، انظر ترجمته في الديباج المذهب لابن فرحون ج٢ ص٣٦٧.

(٦٦) التمهيد لابن عبدالبر ج٩ ص٢٤٨.

(٦٧) سورة المائدة جزء من آية ٤١.

(٦٨) كتاب الصلاة لابن القيم ص٥٤.

(٦٩) نواقض الإيمان القولية والعملية د/ عبدالعزيز العبد اللطيف ص٩٠-٩١.

(٧٠) الفتاوى لابن تيمية ج١١ ص٣٥٤.

(٧١) سورة الشورى آية ١٣.

(٧٢) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص٣١٩ معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج٤ ص٢٠٥.

(٧٣) العبودية لابن تيمية ص٣٨.

(٧٤) الموافقات للشاطبي ج٢ ص١٧٥.

(٧٥) الفتاوى لابن تيمية ج٢٨ ص١٧١.

(٧٦) الأمنية في إدراك النية للقرافي ص٤٠-٤١ باختصار.

(٧٧) هو النعمان بن ثابت الكوفي أحد الأئمة الأربعة إمام أصحاب الرأي وفقيه أهل العراق قال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة) توفي رحمه الله سنة ١٥٠هـ طبقات الحفاظ للسيوطي ص٧٣.

(٧٨) تقدمت ترجمته رقم ٣٨.

(٧٩) مختصر الفتاوى ص٩ وكشاف القناع للبهوتي ج١ ص٣٢٨.

(٨٠) طرح التثريب في شرح التقريب للعراقي ج١ ص١١-١٢.

(٨١) تقدمت ترجمته رقم ٥٩.

(٨٢) الفتاوى لابن تيمية ج٢٦ ص٢٣-٢٤ باختصار والآية من سورة البينة رقم ٥.

(٨٣) الموافقات للشاطبي ج٢ ص٢٢٩-٣٠٨-٣٩٨.

(٨٤) إحياء علوم الدين الغزالي ج٤ ص٣٥٧ والأشباه والنظائر للسيوطي ص١٢٢.

(٨٥) لسان العرب لابن منظور ج٢ ص٨٨٦ مادة عمل والمعجم الوسيط ج٢ ص٦٢٨.

(٨٦) معجم لغة الفقهاء للدكتور محمد رواس قلعة جي والدكتور حامد صادق ص ٣٤٨ ودائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدي ج٦ ص٧٤٨.

(٨٧) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق الشهير بالشاطبي فقيه أصولي مفسر محدث لغوي له مصنفات نافعة منها الموافقات في أصول الفقه والاعتصام توفي سنة ٧٩٠هـ انظر ترجمته في شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لابن مخلوف ص٢٣١.

(٨٨) الموافقات للشاطبي ج٢ ص٣٠٠ ونظرية المقاصد عند الشاطبي للريسوني ص٢٠٩.

(٨٩) في ظلال القرآن سيد قطب ج٢ ص٦٣٨.

(٩٠) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج١ ص٣٠ باختصار وتصرف يسير.

(٩١) المصدر السابق ٢٤/١ باختصار وتصرف.

(٩٢) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري أبو الفتح تفي الدين الفقيه الأصولي المحدث له مصنفات مباركة، منها شرح العمدة، والإلمام في الحديث توفي رحمه الله سنة ٧٠٢هـ انظر ترجمته في طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ج٢ ص٢٢٩.

(٩٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ج١ ص٩.

(٩٤) إعلام الموقعين لابن القيم ج٣ ص١٣٢.

(٩٥) إغاثة اللهفان لابن القيم ج١ ص٣٥٧.

(٩٦) سورة النساء آية رقم ٩٢.

(٩٧) القواعد والفوائد الأصولية لابن اللحام ص٥١.

(٩٨) الأشباه والنظائر للسيوطي ص٣٠.

(٩٩) بيان الدليل على بطلان التحليل لابن تيمية ص٢٣٣.

(١٠٠) أضواء البيان للشنقيطي ج٣ ص٤٠٨-٤٠٩.

(١٠١) رواه أحمد ج٥ ص٣٨١ والحاكم وصححه ج٢ ص٦١٣ ووافقه الذهبي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٠٢) الأولى أن يقال (يتذكر كلام معبوده) اتفاقاً مع السياق القرآني.
(١٠٣) دستور الأخلاق في القرآن د/ محمد عبدالله دراز المقدمة ي – د .
(١٠٤) هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شخص الهذلي أبو عبدالرحمن حليف بني زهرة من قريش أسلم قديماً وهاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد كلها، ولازم النبي ﷺ ، وكان صاحب نعليه توفي سنة ٣٣هـ الإصابة لابن حجر ج٢ ص٣٦٠.
(١٠٥) العدة للصنعاني (حاشيته على إحكام الأحكام) ج١ ص٧٠.
(١٠٦) لسان العرب لابن منظور ج١ ص٨٨٩.
(١٠٧) إحياء علوم الدين للغزالي ج٣ ص٥٢.
(١٠٨) حجة الله البالغة للدهلوي ج١ ص٣٩٠.
(١٠٩) رواه أبو داود باب تغيير الأسماء رقم ٤٩٥٠ ج٥ ص٢٣٧ والنسائي كتاب الخيل باب ما يستحب من شية الخيل ج٦ ص٢١٨ عن أبي وهب ﷺ وصححه الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٣ ص٣٣.
(١١٠) زاد المعاد لابن القيم ج٢ ص٣٤٠.
(١١١) أسلوب الدعوة القرآنية د/ عبدالغني بركة ص٣٣٤-٣٣٥.
(١١٢) الأمالي لأبي علي القالي ج٢ ص٦٠.
(١١٣) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي أبو حامد الفقيه الشافعي الأصولي صنف كثيراً من الكتب منها إحياء علوم الدين والوسيط والوجيز في الفقه، والمستصفى في أصول الفقه توفي رحمه الله سنة ٥٠٥هـ. انظر ترجمته في طبقات الشافعية للأسنوي ج٢ ص١١١.
(١١٤) إحياء علوم الدين للغزالي ج٤ ص٣٧٣.
(١١٥) رواه النسائي في عشرة النساء باب حب النساء ج٧ ص٦١-٦٢، وأحمد في المسند ج٣ ص١٢٨-١٩٩-٢٨٥ عن أنس ﷺ وصححه الألباني في صحيح الجامع ج٣ ص٨٧.
(١١٦) رواه أبو داود كتاب الأدب باب في صلاة العتمة رقم ٤٩٨٥-٤٩٨٦ ج٥ ص٢٦٢ وأحمد في المسند ج٥ ص٣٦٤-٣٧١ عن رجل من خزاعة من أصحاب رسول الله ﷺ وصححه الألباني في صحيح الجامع ج٦ ص٢٨٤.

(١١٧) تهذيب مدارج السالكين عبدالمنعم صالح العلي ج١ ص٥٢٥-٥٢٦ بتصرف واختصار.

(١١٨) سورة فصلت آية ٣٣.

(١١٩) إعلام الموقعين لابن القيم ج٤ ص١٩٩.

(١٢٠) منهج الدعوة إلى الله أمين إصلاحي ص١٤-١٥ باختصار.

(١٢١) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي أبو بكر الملقب بالشيخ الأكبر عند الصوفية، فيلسوف صوفي من أئمة المتكلمين ولد سنة ٥٦٠هـ وتنقل في حواضر العالم الإسلامي وأقام بدمشق وتوفي بها سنة ٦٢٨هـ صنف كثيراً، أوصلها الزركلي إلى نحو أربعمائة من كتاب ورسالة أشهرها الفتوحات المكية، وفصوص الحكم انظر ترجمته في ميزان الاعتدال للذهبي ج٣ ص٦٥٩-٦٦٠، الأعلام للزركلي ج٦ ص٢٨١.

(١٢٢) التعريفات للجرجاني ص١٨٤.

(١٢٣) الفتاوى لابن تيمية ج١٠ ص٢١٦.

(١٢٤) المصدر السابق ج١٠ ص٢١٦ باختصار.

(١٢٥) ميزان العمل للغزالي ص١٦.

(١٢٦) سورة النساء آية ٢٥.

(١٢٧) إحياء علوم الدين للغزالي ج٤ ص٣٦٢.

(١٢٨) هو عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي من كبار التابعين الخليفة الصالح والملك العادل، ولي الخلافة بعد سليمان بن عبدالملك ولد بالمدينة سنة ٢١هـ وتوفي بدير سمعان سنة ١٠١هـ انظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ج٩ ص٦٩٢.

(١٢٩) إحياء علوم الدين للغزالي ج٢ ص٣٦٤.

(١٣٠) رواه أحمد في المسند ج٤ ص٤٠٣ عن أبي موسى الأشعري ﷺ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ص٦٩.

(١٣١) رسائل الإصلاح محمد الخضر حسين ج١ ص١٢.

(١٣٢) الفتاوى لابن تيمية ج٢٥ ص١٢٦-١٢٧.

(١٣٣) ميزان العمل للغزالي ص٦٠.

(١٣٤) تقدمت ترجمته رقم ٣٨.

(١٣٥) تهذيب التهذيب لابن حجر ج١١ ص٣٥٨.

(١٣٦) المجموع للنووي ج١ ص٤٦.

(١٣٧) سورة النساء آية ٥٩.

(١٣٨) سورة التوبة آية ١٠٠.

(١٣٩) سورة الزمر الآيتان ١٧-١٨.

(١٤٠) سورة التوبة آية ١٠٠.

(١٤١) إعلام الموقعين لابن القيم ج٣ ص١٠٧-١١٤، ترتيب المدارك للقاضي عياض ج١ص٤١-٤٤. (****)تابعة لنفس الحاشية.

(١٤٢) الرياض الناضرة عبدالرحمن السعدي ص٢٣١.

(١٤٣) مفتاح الأصول إلى بناء الفروع على الأصول للتلمساني ص٣٣-٣٤.

(١٤٤) لسان العرب لابن منظور ج٣ ص٩٢٧.

(١٤٥) مقاصد الشريعة لابن عاشور ص١٤٩.

(١٤٦) المصدر السابق ص١٤٩.

(١٤٧) الفتاوى لابن تيمية ج١٠ ص٤٦٠-٤٦١.

(١٤٨) غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر للحموي ج١ ص٣٤.

(١٤٩) رواه البخاري في الجنائز باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة رقم ١٢٩٥ ج١ ص٣٩٩ وفي الإيمان باب ماجاء بالنية والحسية ولكل امرئ ما نوى رقم ٤١ ص٣٥ وفي الوصايا باب أن يترك ورثته أغنياء، خير أن يدعهم يتكففون الناس رقم ٢٧٤٢ ج٢ ص٢٨٧ وباب الوصية بالثلث رقم ٢٧٤٢ ج٢ ص٢٨٧ وفي فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ : (اللهم امض لأصحابه هجرتهم) ج٣ ص٧٨ رقم ٣٩٣٦ وفي المغازي باب حجة الوداع ج٣ ص١٧٢ رقم ٤٣٩٥ ومسلم في الوصية باب الوصية بالثلث رقم ١٦٢٨ ج٣ ص١٢٥٠-١٢٥١ والموطأ في الوصية باب الوصية في الثلث لا تتعدى رقم ٤ ص٤٧٦ والترمذي في

الجنائز باب ما جاء في الوصية بالثلث والربع رقم ٩٧٥ ص٤١٣ وأبو داود في الوصايا باب ما جاء فيما لا يجوز للوصي في ماله رقم ٢٨٦٤ ج٣ ص٢٨٤-٢٨٦ والنسائي في الوصايا باب الوصية بالثلث ج٦ ص٢٤١-٢٤٢ عن سعد بن أبي وقاص ﷺ .

(١٥٠) دليل الفالحين للصديقي ٦١/١.

(١٥١) شرح السيوطي على سنن النسائي ج١ ص١٩.

(١٥٢) هو علي بن عقيل بن محمد البغدادي الحنبلي شيخ الحنابلة في زمنه ولد سنة ٤٣١هـ كثير التصانيف، ومن أعظمها الفنون في أربعمائة جزء توفي سنة ٥١٣هـ انظر ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد ج٤ ص٣٥.

(١٥٣) آلة عزف توضع تحت الخد. انظر هامش تلبيس إبليس ص٢٧٨.

(١٥٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٢٧٨.

(١٥٥) تقدمت ترجمته رقم١١٣.

(١٥٦) إحياء علوم الدين ج٤ ص٣٦٨-٣٦٩.

(١٥٧) المدخل لابن الحاج ج١ ص٢١-٢٢ بتصرف واختصار.

(١٥٨) سورة المائدة آية رقم ٣.

(١٥٩) الاعتصام للشاطبي ج١ ص١٠٣.

(١٦٠) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبدالسلام ج١ ص١٢٣.

(١٦١) الموافقات للشاطبي ج٢ ص١٦٨-١٧٦.

(١٦٢) مقاصد الشريعة لابن عاشور ص ١٤٩.

(١٦٣) شرح تنقيح الفصول للقرافي ص٤٤٩.

(١٦٤) الأشباه والنظائر للسيوطي ص١٥٨.

(١٦٥) لسان العرب لابن منظور ج٢ ص١٧٨ مادة سلب والقاموس المحيط للفيروز آبادي ج١ص٨٣.

(١٦٦) المعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين مادة سلب ج١ ص٤٤٣.

(١٦٧) التعريف من لدن الباحث.

(١٦٨) سورة النحل آية ١٢٥.

(١٦٩) البيان والتبيين للجاحظ ج١ ص٨٣.

(١٧٠) مقاصد المكلفين د/ عمر الأشقر ص١٠١-١٠٢.

(١٧١) ميزان العمل للغزالي ص٢٥١.

(١٧٢) مقاصد الشريعة ومكارمها للفاسي ص٤٣.

(١٧٣) سورة النحل آية ٨٢.

(١٧٤) سورة الشعراء، الآية ٣.

(١٧٥) سورة فاطر، الآية٨ .

(١٧٦) سورة التغابن، الآية ١١.

(١٧٧) رواه مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من رضي الله ربـــاً رقـــم ٣٤ ج١ ص٦٢ والترمذي كتاب الإيمان باب ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمـــان رقـــم ٢٦٢٣ ص ١٠٢٢ عن العباس بن عبدالمطلب ﷺ .

(١٧٨) رواه مسلم كتاب الإمارة باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله رقم ١٩٠٨-١٩٠٩ ج٣ ص١٥١٧ وأبو داود كتاب الصلاة باب الاستغفار رقم ١٥٢٠ ج٢ ص١٧٩-١٨٠ والترمذي كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء فيمن سأل الشهادة رقم ١٩٠٩ ص والنسائي كتاب الجهاد باب مسألة الشهادة ج٦ ص٣٦-٣٧ عن جمع من الصحابة ﷺ .

(١٧٩) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير باب يكتب للمسافر ما كان يعمل في الإقامـــة رقـــم ٢٩٩٦ ج٢ ص٣٥٧ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(١٨٠) انظر تخريج الحديث برواياتيه رقم ٣٢-٣٣.

(١٨١) سورة إبراهيم الآيتان ٢٤-٢٥.

(١٨٢) تفسير الفخر الرازي ج١٩ ص١٢٢ المجلد العاشر باختصار.

(١٨٣) الأخلاق والسير لابن حزم ص١٣

(١٨٤) سورة طه الأيتان ٢٥-٢٦.

(١٨٥) تفسير المجلد السادس ج١٦ ص١٦١ باختصار.

(١٨٦) سورة الأنعام الآية ١٢٥.

(١٨٧) لمصدر السابق ج١٣ ص٢٤٧.

(١٨٨) رواه أحمد ج٥ ص١٨٣ والدارمي ج١ ص٧٥ عن عثمان ﷺ وصححه الألباني انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث ٤٠٤ المجلد الأول ص١٤٥.

(١٨٩) رواه مسلم كتاب الزهد باب من أشرك في عمله غير الله رقم ٢٩٨٥ ج٤ ص٢٢٨٩ عن أبي هريرة ﷺ.

(١٩٠) شرح الخطاب على مختصر خليل المسمى مواهب الخليل لشرح مختصر خليل ج٢ ص٥٣٢.

(١٩١) الموسوعة الفلسفية العربية لمجموعة من المؤلفين ج١ ص٥٤٤.

(١٩٢) الشرك ومظاهره لمبارك الميلي ص٥١.

(١٩٣) سورة النساء آية ٤٨.

(١٩٤) المصدر السابق ص ١١.

(١٩٥) مقاصد الشريعة لابن عاشور ص ٥١.

(١٩٦) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج٢ ص٤٠٨-٤٠٩.

(١٩٧) طلب العلم وطبقات المتعلمين للشوكاني ص١٣٤-١٣٥.

(١٩٨) الفتاوى لابن تيمية ج٢٠ ص٤٨.

(١٩٩) نظرية المقاصد عند الشاطبي للريسوني ص٩١.

(٢٠٠) الموافقات للشاطبي ج١ ٢٢٦.

(٢٠١) إعلام الموقعين لابن القيم ج٢ ص٨٢.

(٢٠٢) سورة الفرقان، الآية ٦٨.

(٢٠٣) المصدر السابق ج٣ ص١٧٥.

(٢٠٤) المصدر السابق ج٢ ص١١٩.

(٢٠٥) جريدة الشرق الأوسط العدد ٨٥٧٤ في ١٤٢٣/٣/٨هـ.

(٢٠٦) المستصفى للغزالي ص٤٧٣.

المصادر والمراجع

١- الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم مطبعة العاصمة بالقاهرة تحقيق أحمد شاكر الناشر زكريا علي يوسف.
٢- إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي دار المعرفة بيروت.
٣- الأخلاق والسير في مداوة النفوس لابن حزم الناشر وزارة الأوقاف الجديدة بيروت ط١ سنة ١٩٨٧م.
٤- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري تأليف أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني دار الفكر ط٦ القاهرة ١٣٠٤هـ.
٥- الاستيعاب لابن عبدالبر مكتبة نهضة مصر ومطبعها تحقيق علي محمد البجاوي .
٦- أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً د/عبد الغني محمد سعد بركة الناشر مكتبة وهبة.
٧- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية الإمام جلال الدين السيوطي ط١ عام ١٤٠٣هـ دار الكتب العلمية بيروت طبعة مصورة عن الطبعة الأولى.
٨- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني مطبعة السعادة بيروت.
٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة ط ١٤١٣هـ.
١٠- الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي دار المعرفة للنشر والتوزيع المدني.
١١- إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن القيم الجوزية دار الكتب الحديثة مطبعة المدني.
١٢- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان للإمام ابن القيم الجوزية تحقيق وتصحيح وتعليق محمد حامد الفقي الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.
١٣- الأمالي لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي دار الحديث للنشر والتوزيع ط٢ عام ١٤٠٢هـ بيروت.
١٤- البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير دار الفكر بيروت.

١٥- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع للإمام محمد بن علي الشوكاني ط١ عام ١٣٤٨هـ مطبعة السعادة بالقاهرة الناشر دار المعرفة.

١٦- بدائع الفوائد للإمام ابن القيم الجوزية الناشر مكتبة القاهرة ط٢ عام ١٣٩٢هـ تصحيح محمود غانم.

١٧- بيان الدليل في بطلان التعليل للإمام ابن تيمية تحقيق د/ فيحان المطيري.

١٨- البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق عبدالسلام هارون مكتبة الرياض الحديثة.

١٩- تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٠- تفسير الفخر الرازي المسمى (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب) للإمام فخر الدين الشهير بخطيب الري ط٣ عام ١٤٠٥هـ دار الفكر للطباعة والنشر.

٢١- التعريفات للجرجاني للشريف علي بن محمد الجرجاني ط١ عام ١٤٠٣هـ دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٢- التفكير المقصدي (رؤية إسلامية) عمر عبيد حسنة المكتب الإسلامي ط١ عام ١٤٢٠هـ.

٢٣- تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزي حققه وخرج أحاديثه خير الدين علي دار الوعي بيروت.

٢٤- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد للإمام أبي عمر بن عبدالله، الناشر وزارة الشؤون الإسلامية بالمغرب.

٢٥- حجة الله البالغة للإمام الشيخ أحمد المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي راجعه وعلق عليه محمود طعمة حلبي دار المعرفة بيروت ط١ عام ١٤١٨هـ.

٢٦- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم للإمام زين الدين ابن رجب الحنبلي دار العقيدة للتراث – باكوس الإسكندرية.

٢٧- جمهرة أنساب العرب للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم تحقيق وتعليق عبدالسلام هارون ط٤ الناشر دار المعارف القاهرة.

٢٨- دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدي، دار المعرفة بيروت ط٣ عام ١٩٧١م.

٢٩- دستور الأخلاق في القرآن د/ محمد عبدالله دراز تعريب وتحقيق وتعليق د/ عبدالصبور شاهين مؤسسة الرسالة ١٤١٦هـ.
٣٠- دليل الفالحين بطرق رياض الصالحين محمد علان الصديقي الشافعي عنيت بنشره دار الكتاب العربي بيروت.
٣١- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون المالكي تحقيق د/محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر.
٣٢- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي، خرج أحاديثه ووضع حواشيه، أبو حازم أسامة حسن، أبو الزهراء حازم علي بهجت، دار الكتب العلمية بيروت.
٣٣- رسائل الإصلاح محمد الخضر حسين دار الاعتصام القاهرة.
٣٤- الرعاية لحقوق الله للحارث المحاسبي دار الكتب الحديثة القاهرة.
٣٥- الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة للشيخ عبد الرحمن بن سعد ط٣ ١٤٠٠هـ مكتبة المعارف، الرياض.
٣٦- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية حققه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ط١٤ عام ١٤٠٧هـ.
٣٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشي من فقهها وفوائدها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ط عام ١٤٠٣هـ الدار السلفية الكويت.
٣٨- سنن ابن ماجه لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني رقمه محمد فؤاد عبدالباقي دار إحياء التراث العربي بيروت.
٣٩- سنن الترمذي للإمام أبي عيسى الترمذي حققه وخرج أحاديثه ورقمه الشيخ خليل مأمون شيحا دار المعرفة بيروت ط١ ١٤٢٣هـ.
٤٠- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي دار الكتاب العربي بيروت ط ١٣٤٨هـ.
٤١- سير أعلام النبلاء للحافظ شمس الدين الذهبي تحقيق شعيب الأرناؤوط – علي أبو زيد مطبعة الرسالة .

٤٢– شجرة النور الزكية في طبقات المالكية محمد بن محمد مخلوف ط١ عام ١٣٤٩هـ المطبعة السلفية الناشر دار الكتاب العربي.

٤٣– شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت.

٤٤– شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول من الفصول ألفه الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي.

٤٥– الشرك ومظاهره مبارك الميلي أحد علماء الجزائر طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٠٧هـ.

٤٦– صحيح البخاري بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي المطبعة السلفية ومكتبها ط١ عام ١٤٠٣هـ

٤٧– صحيح الجامع الصغير وزياداته الشيخ محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي ط٣ عام ١٣٩٣هـ.

٤٨– صحيح مسلم تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي دار إحياء الكتب العربية القاهرة.

٤٩– طبقات الحفاظ للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق علي محمد عمر، الناشر مكتبة وهبة– مصر ط١ عام ١٣٩٣هـ.

٥٠– طبقات الشافعية لأحمد بن محمد بن عمران قاضي شهبة اعتنى بتصحيحه وعلق عليه د/ عبدالعليم خان ط١ عام ١٤٠٧هـ عالم الكتب .

٥١– الطبقات الكبرى لابن سعد دار بيروت للطباعة والأعلام.

٥٢– طرح التثريب في شرح التقريب للحافظ زين الدين العراقي الناشر دار المعارف سورية حلب.

٥٣– العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية المكتب الإسلامي دمشق ط٢ عام ١٣٨٩هـ.

٥٤– طلب العلم وطبقات المتعلمين للشوكاني ط١ عام ١٩٨٢م دار الكتب العلمية بيروت.

٥٥– العدة حاشية العلامة الصنعاني على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد تحقيق علي محمد الهندي المطبعة السلفية ١٣٧٩هـ.

٥٦– عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام أبي محمد محمود العيني ط١ عام ١٣٩٢هـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة.

٥٧- غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر، أحمد بن محمد الحموي دار الطباعة ١٣٩٠هـ.

٥٨- فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

٥٩- في ظلال القرآن سيد قطب دار الشروق ط٥ عام ١٤٠٥هـ.

٦٠- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي، ملتزم الطبع والنشر شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر ط٢ عام ١٣٧١هـ.

٦١- قواعد الأحكام في مصالح الأنام للإمام عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي، راجعه طه عبدالرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية عام ١٩٨٨م.

٦٢- القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية لابن اللحام الحنبلي تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية القاهرة.

٦٣- كتاب الصلاة للإمام ابن القيم الجوزية من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٦٤- كشاف القناع للعلامة منصور بن إدريس البهوتي أمر بطبعه الملك فيصل رحمه الله مطبعة الحكومة بمكة المكرمة عام ١٣٩٤هـ.

٦٥- لسان العرب للعلامة ابن منظور، دار لسان العرب، بيروت، إعداد وتصنيف يوسف خياط- نديم مرعشلي.

٦٦- المجموع للإمام النووي الناشر علي يوسف، مطبعة العاصمة شارع الفلكي- القاهرة.

٦٧- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ترتيب عبدالرحمن قاسم النجدي الحنبلي.

٦٨- مختصر الفتاوى المصرية، لبدر الدين أبي عبدالله محمد بن علي الحنبلي البعلي، أشرف على تصحيحه الشيخ عبدالمجيد سليم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٩- المدخل إلى تنمية الأعمال وتحسين النيات لابن الحاج ط١ عام ١٣٨٠هـ، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي مصر.

٧٠- المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار الفكر بيروت.

٧١- المستصفى للإمام أبي حامد الغزالي تحقيق وتعليق محمد المصطفى أبو العلا، حركة الطباعة الفنية المتحدة الناشر مكتبة الجندي مصر.

٧٢- المسند للإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني دار الفكر العربي بيروت.

٧٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للعلامة أحمد بن عمر بن علي المقرئ الفيومي المكتبة العلمية بيروت.

٧٤- المعجم الكبير للطبراني للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني حققه حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مطبعة الوطن العربي ط١ عام ١٣٩٩هـ، من مطبوعات وزارة الأوقاف العراقية.

٧٥- معجم لغة الفقهاء د/ محمد بن رواس قلعجي ط٢ عام ١٤٠٨هـ، دار النفائس – بيروت.

٧٦- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق وضبط عبدالسلام محمد هارون ط٢ عام ١٣٨٩هـ شركة ومطبعة مصطفى البالي الحلبي.

٧٧- المعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين دار الفكر بيروت.

٧٨- مفتاح الأصول إلى بناء الفروع على الأصول للشريف التلمساني حققه وخرج أحاديثه عبدالوهاب بن عبداللطيف، دار الكتب العلمية بيروت، ط٣ عام ١٤٠٣هـ.

٧٩- مفتاح دار السعادة ومنثور ولاية العلم والإرادة للإمام ابن القيم الجوزية دار الفكر دمشق ١٤٠٢هـ الناشر دار نجد للنشر والتوزيع الرياض.

٨٠- مفردات ألفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني تحقيق صفوان عدنان داوودي ط٢ عام ١٤١٢هـ دار العلم دمشق.

٨١- مقاصد الشريعة الإسلامية للشيخ محمد الطاهر عاشور الشركة التونسية للتوزيع.

٨٢- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها لعلال الفاسي، الناشر مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء المغرب.

٨٣- منهج الدعوة إلى الله، أمين إصلاحي، تعريب سعيد الأعظمي ونور عالم الندوي، دار نشر الكتاب الإسلامي.

٨٤- الموافقات في أصول الفقه لأبي إسحاق الشاطبي إبراهيم بن توس اللخمي الغرناطي المالكي، شرحه وعلق عليه د/ محمد عبدالله دراز دار الكتب العلمية بيروت.
٨٥- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل لأبي عبدالله محمد بن محمد الطرابلسي المغربي وبهامشه التاج والإكليل لمختصر خليل لأبي عبدالله محمد يوسف العبيدي الشهير بالمواق، ملتزم الطبع والنشر، مكتبة النجاح طرابلس ليبيا.
٨٦- الموسوعة الفلسفية العربية لمجموعة من المؤلفين، معهد الإنماء العربي رئيس التحرير د/ معن زيادة.
٨٧- الموطأ للإمام مالك بن أنس صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي.
٨٨- ميزان الاعتدال للذهبي، دار المعرفة، بيروت، توزيع الرئاسة العامة للإفتاء بالرياض.
٨٩- ميزان العمل للإمام أبي حامد الغزالي، حققه الشيخ محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي، مصر.
٩٠- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي د/ أحمد الريسوني نشر المعهد العالي للفكر الإسلامي.
٩١- النهاية في غريب الحديث للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمد بن محمد الطناحي، المكتبة العلمية — بيروت.
٩٢- نواقض الإيمان القولية والعملية (رسالة الدكتوراة) د/ عبدالعزيز العبد اللطيف دار الوطن ط٢ عام ١٤١٥هـ.

المجلات والجرائد

٩٣- جريدة الشرق الأوسط عدد ٨٥٧٤ في ١٤٢٣/٣/٨هـ.